نبى الرجاء

« زكريا النبى »

مكتبة المحبة

تأليف
ف. ب. مايـر

ترجمة
القمص مرقس داود

نـــبى الرجاء

دراسات في نبوة زكريا

تأليـف

ف.ب.ماير

ترجمـة القـمص مرقس داود

الناشر

مكتبة المحبة

٢٠ شارع شبرا ـ ت ٥٧٧٧٤٤٨ فاكس ٥٧٥٩٢٤٤

اسم الكتاب : نبـــى الـــرجاء

تأليف : ف ـ ب ـ ماير

الناشر : مكتبة المحبة

جمع كمبيوتر : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

المطبعة : هارمونى للطباعة ت : ٦١٠٠٤٦٤

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٢٥٦٧ /٢٠٠٥م.



صاحب القداسة والغبطة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة المؤلف

هنالك أمور دقيقة متعددة لا تدخل ضمن نطاق هذا المؤلف كالاقتباسات التى اقتبست من السفر فى الأناجيل، واختلاف الأسلوب بين الاصحاحات الأولى والاخيرة.

هذه أمور يصح بحثها أمام جمهور آخر من المستمعين غير هذا الجمهور الذى أحدثه، وخليقة بأن تعالجها يد أخرى أكفأ من يدى.

وهدفى الوحيد هو تقديم أبرز التعاليم والدروس فى كل أصحاح بقصد جذب دارس الكتاب إلى زيادة التعمق فى درس شخصية النبى وزيادة التعرف إليه.

تختتم أسفار العهد القديم بنبوات حجى وزكريا وملاخى الذين اتجهت وجوههم نحو شروق الشمس، لكنهم كانوا يرون أن الظلمة لا زالت جاثمة فوق صدور معاصريهم. انهم يذكرون المرء بهبات النسيم التى تبدأ قبيل الفجر معلنة قدومه ثم تموت رويدا حتى تطلع الشمس.

يكتب المؤلف هاتين الكلمتين "نقب هنا" ويرددهما مراراً خلال شرح هذا السفر النبوى ـ كمن قد وجد غنيمة يريد أن يقتسمها ـ راجيا أن يجذب الكثيرين إلى روح زكريا الصافية المتوثبة، ذلك البطل الذى تكلم به الله.

ويعبر عنوان هذا المؤلف الصغير عن فكرة واحدة تسود نبوة زكريا، هى أنه كان نبى الرجاء كما كان بطرس رسول الرجاء.

مقدمة المعرب

باسم الأب والابن والروح القدس

هذه عينة أخرى من دراسات الكتاب المتعددة الألوان التى قام بها ذلك الروحى العميق "الدكتور ماير" بين يدى الآن منها سفر الخروج ونبوة زكريا والرسالتان إلى فيلبى والعبرانيين ورسالة بطرس الرسول الأولى.

ونظرا للاقبال المنقطع النظير الذى لاقته الكتب التى سبق ان عربتها للمؤلف عن شخصيات الكتاب حتى اعيد طبع البعض منها ونظرا لما وجدته فى هذه السلسلة ايضا من الدسم لنفسى رايت ان لا احرم القراء الأعزاء من الاستمتاع معى بهذا الدسم.

وقد بدأت بنبوه زكريا لأن فيها الكثير من الاشارات التى يعتقد الكثيرون من المفسرين أنها تنطبق على العصر الحاضر الذى تمت فيه عودة اليهود إلى وطنهم كمقدمة لقبولهم المسيح الذى طال رفضهم اياه وبالتالى لمجيئه الثانى.

واننى أبتهل إلى القدير أن يوقظ بهذا المؤلف ضمائر معربه وقارئيه لكى نكون فى كل حين مستعدين لملاقاة الحبيب.

القس مرقس داود

١

خلود كلام الله

(زكريا ١ : ١ ـ ٦)

ولد زكريا النبى فى السنوات الأخيرة للسبى البابلى. ومعنى اسمه "من يذكره الله" وواضح أن هذا الاسم كان شائعا بين الشعب المختار لأنه أطلق على أشخاص كثيرين آخرين فى رواية العهد القديم.

كم هو جميل أن نكون واثقين على الدوام من أن الله يفكر فينا حتى اذا ما نسيناه نحن أو انعدم ايماننا فيه. انه يبقى أمينا "أما أنا فمسكين وبائس. الرب يهتم بى. ما أكرم أفكارك يا الله عندى ما أكثر جملتها. ان احصها فهى أكثر من الرمل" مز ٤٠ : ١٧ ، ١٣٩ : ١٧ و ١٨.

تحدر زكريا من عائلة كهنوتية. قيل صراحة عن جده "عدو" أنه رافق زربابل رئيس يهوذا ويشوع رئيس الكهنة وقت العودة إلى بلادهم الخربة (عز ٢ : ١ و ٢ ، نح ١٢ : ٤) والمرجح أن أباه "برخيا" مات لما كان زكريا ولدا صغيرا قرباه جده، ولذلك نقرأ عنه أحيانا أنه ابن عدو.

من أجل هذا لابد أن عقله قد تشبع بالتقاليد والعادات الكهنوتية منذ حداثته.

وصلت حملة المسبيين الأولى ـ السابق الاشارة إليها ـ إلى فلسطين قبل بداية روايتنا هذه بنحو عشرين عاما. كانت ظروف غالبية

اليهود العظمى المالية حسنة فى بلاد الغزاة الغنية، فلم يتعجلوا العودة إلى بلادهم. ولم يخاطر فى تحمل وعورة وأخطار الصحراء وثقل الفاقة فى الاقامة ببلادهم الأصلية سوى خمسين ألف نسمة. ولا شك فى أن هؤلاء كانوا زهرة اليهود سواء من جهة التقوى أو العزة القومية.

والمرجح أن غالبية المسبيين الذين عادوا إلى بلادهم لزم كل واحد منهم نصيب آبائه فى أرجاء المملكة المختلفة عدا جماعة قليلة أقاموا فى خرائب أورشليم التى كللها السواد. يصف سفر مراثى أرميا ـ بمرثاه تتخللها العبرات ـ حالة المدينة كما تركها الآباء منذ سبعين عاما ولابد أن تكون هذه الفترة التى هجرت فيها خربة مقفرة قد زادت الموقف سوءا.

كيف غطى السيد بغضبه ابنة صهيون بالظلام
ألقى من السماء إلى الأرض فخر اسرائيل
ولم يذكر موطئ قدميه فى يوم غضبه
ابتلع السيد ولم يشفق كل مساكن يعقوب
نقض بسخط حصون بنت يهوذا
اشتعل (أضرم) فى يعقوب مثل نار ملتهبة
نزع كما من جنة مظلته
أهلك مجتمعه

(مراثى ٢)

وسط هذه الأكوام من الحزب حطت حقنة المسبيين الفقراء رحالها. وبعد وصولهم ظلوا بعض الوقت منشغلين فى اقامة مساكن لأنفسهم واقامة بعض الشعائر الدينية التى لابد أن يكونوا قد حرموا منها كل تلك المدة الطويلة السالفة (عز ٣ : ٣ ـ ٦) وبعد فترة وجيزة وضعت أساسات الهيكل الجديد وسط هتافات الفرح التى غلبت عليها أصوات بكاء الشيوخ الذين سبق أن رأوا البيت الأول فى مجده (عز ٣ : ١٢ و ١٣).

كان فجرا جميلا، لكن نوره سرعان ما اكتنفته السحب لأن أعداء الشعب الذى رجع نصبوا أنفسهم لتسميم عقل ارتحشستا الذى اذ كان مغتصبا وساحرا فانه لم يشعر بأى التزام لاحترام أوامر كورش، وأمر بابطال عمل البناء فتوقف خمس عشرة سنة (عزرا ٤) وفى نهاية هذه المدة بدأ حجى النبى وزكريا بن عدو بتحريك مواطنيهم لاستئناف العمل الذى أبطلوه فى مدة التوقف هذه حدث تغيير كبير فى الجو السياسى وكان هناك أمل كبير أن داريوس (الذى تزعم مؤامرة ناجحة ضد ارتحشتا المغتصب وارتقى أخيرا عرش بلاد الفرس) يعطف على قضية اليهود المسبيين لأنه كان يعتقد بعبادة اله واحد وكان غيورا على أن يعيد الديانة الطاهرة الروحية إلى الوجود. وهذا ما حدث فعلا فيما بعد (عز ٥ و ٦ سيما ٦ : ٧ ـ ١٢).

لكن الصعوبة الكبرى التي كابدها النبيان كانت مع اليهود أنفسهم فقد قالوا "ان الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب" حج ١ : ٢ وفي نفس الوقت كانوا هم يسكنون بيوتا مغشاة بينما كان بيت الله خرابا (حج ١ : ٤)

.تكلم حجي أولا "في السنة الثانية لداريوس الملك في الشهر السادس في أول يوم من الشهر" أشار إلى النكبات التي كانت ترزح تحتها البلاد اذ منعت السموات الندى ومنعت الأرض غلتها وحل الجدب على الأرض والجبال، على الحنطة والمسطار والزيت، على الناس والبهائم وعلى كل أتعاب أيديهم لقد زرعوا كثيرا ولم يدخلوا ألا القليل أكلوا ولم يشبعوا، شربوا ولم يرتووا اكتسوا لكن لم يدفئوا، أخذوا أجرة لكنها تبعثرت كأن أكياسهم مثقوبة ثم لفت نظرهم إلى أن كل هذه المصائب قصد بها الله أن تكون تأديبا على تراخيهم وحثا لهم على النشاط "لماذا يقول رب الجنود لأجل بيتي الذى هو خراب وأنتم راكضون كل انسان إلى بيته" (حج ١ : ١ ـ ١١).

"حينئذ سمع زربابل بن شالتئيل ويهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم وكل بقية الشعب صوت الرب الههم وكلام حجي النبي كما أرسله الرب الههم وخاف الشعب أمام وجه الرب فقال حجي رسول

الرب برسالة الرب لجميع الشعب قائلا أنا معكم يقول الرب ونبه الرب روح زربابل بن شالتئيل والى يهوذا وروح يهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم وروح كل بقية الشعب فجاءوا وعملوا الشغل فى بيت رب الجنود الههم فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر السادس فى السنة الثانية لداريوس الملك" (حج ١ : ١٢ ــ١٥).

وفى الشهر التالى، أى السابع، جاءت كلمة مشجعة جدا أيضا على فم حجى، منبئة بأن مجد الهيكل الثانى سوف يفوق مجد الاول فهو مجد لا يقوم بالذهب والفضة والحجارة الكريمة بل بالمجد الروحى المستمد من "مشتهى كل الامم" الذى لابد أن يضفى مجيئه على ذلك البناء عظمة أبدية (حج ٢ : ١ ــ ٩).

وفى الشهر التالى، أى الثامن، "كانت كلمة الرب إلى زكريا" ان كلمة الرب تحوم حول العالم إلى الابد كموجات اللاسلكى فى الهواء لكن الحاجة تدعو إلى قلب مكرس ومهيأ لقبول الرسالة الالهية وحملها للآخرين. أما فى حالة الانبياء فكان هنالك أكثر من ذلك لانهم تكلموا "مسوقين من الروح القدس" ٢بط ١ : ٢١ عندما تحدث الرسول عن الحواس المدربة على التمييز بين الخير والشر عب ٥ : ١٤ قصد أن يقول أن لكل حاسة من حواس الجسد حاسة تتمشى معها

من حواس النفس، وهذه قد تكون أكثر أو أقل حساسية كزميلتها فجّدوا في أثر حاسة النفس التى مسها الروح القدس.

كن هادئا قويا أيها الاخ الكريم

وخفف عن نفسك حدة البكاء الاليم

واحفظ روحك من كل فعل أثيم

حتى اذا ما دنا يوم الرب العظيم

استقبلته استقبال الواثق الفهيم

يقدم زكريا نبواته برسالة رقيقة جدا صحيح انه لم يهاجم شعبه بأخطاء الماضى، وهذا هو كل ما قاله "قد غضب الرب غضبا على آبائكم" ١ : ٢ انهم لم يتذكروا ذلك الغضب إلا حديثا، وكانت علاماته واضحة جدا لكنه يسرع بابراز العطف الإلهى والرقة والرحمة: "أرجعوا اليّ يقول رب الجنود فأرجع اليكم" لم يوجد قط خاطئ واحد لم تحن محبة الله الازلية لرجوعه، ولم ترسل اليه رسائل كهذه. وهنا تتفوق المحبة الإلهية على المحبة البشرية. لم يحدثنا الرب عن والد الابن الضال بأنه كان يرسل اليه الرسائل فى الكورة البعيدة حيث كان يجلس وسط الخنازير لكن هذا ما يفعله الله تماما. ألا تستطيع أن تسمع رنين الاجراس الفضية يحمل عبر الوادى؟ "ارجعوا ارجعوا". وعندما تكون لا

تزال بعيدا فان الاب يراك، واذ تتحرك عواطفه يركض اليك ويقع على عنقك، ويقبلك كثيراً، ويعيدك إلى حيث كنت أولا. ولا يعود يذكر خطاياك فيما بعد.

كان الخوف الوحيد أن يدعوهم الله فتصبح دعوته بلا جدوى "لا تكونوا كآبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون... فلم يسمعوا ولم يصغوا اليّ يقول رب الجنود". رغم أن الشعب المختار قد تكبد الآلام المريرة لكن كان هنالك احتمال أليم ان يعود عناد الجيل السابق إلى الظهور في هذا الجيل. فكل جيل يصر على أن يجرب اختباراته الأليمة دون أن يتعظ باختبارات الجيل السابق.

"آباؤكم أين هم"؟ لقد تمردوا وأخطأوا فارتحلوا تحت الغضب الإلهى. "والأنبياء هل أبدا يحيون"؟ لكن حتى أن صمتت الشفاه التى تنطق بالكلمة الإلهية صمت الموت فان الكلمة نفسها تبقى، وتبقى في قوتها الأبدية. "ولكن كلامى وفرائضى التى أوصيت بها عبيدى الأنبياء أفلم تدرك (أو تلحق) أباءكم "كما يلحق العدو عدوه الهارب منه". وهكذا أراد النبى أن يستخلص منهم اعترافا بعدالة الخراب الذى حل بهم. لهذا نراهم قد "رجعوا وقالوا كما قصد رب الجنود أن يصنع بنا كطرقنا وكأعمالنا كذلك فعل بنا".

أن النتيجة قوية وظاهرة. قد يموت النبى لكن الكلمة الإلهية تبقى. السماء والأرض تزولان لكن كلمة واحدة من كلام الله لن تسقط. "كل جسد كعشب وكل مجد انسان كعشب. العشب يبس وزهره سقط. وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد" ١ بط ١ : ٢٤و ٢٥. ان النبوات السابقة التى تمت سواء كانت تهديدات كتلك التى حلت باليهود، أم وعودا كتلك التى تمت بمجئ الرب ـ هذه وتلك تؤيد الحقيقة الخالدة أن كلمة الله لن تعدم قوتها. اذا فلنعط انتباها أكثر إلى دعوته، وانذاراته وتهديداته، ومواعيده، سالكين بحسبها، ومتذكرين على الدوام أنها هى تأكيدات "رب الجنود".

استعمل هذا الاصطلاح (أى "رب الجنود") الأنبياء الثلاثة الذين ظهروا بعد السبى وقد ورد خمس مرات فى هذه المقدمة المكونة من ست آيات. يا له من أمر جلل! فانه بالرغم من أن اليهود قد رأوا جنود الأعداء الوفيرة مصطفة ضدهم فى الحرب أو تمرح فى بلادها البعيدة فقد كانوا واثقين من أن ربهم لديه جنود أوفر عددا وان كل قوى الطبيعة، كل مشيئات البشر، كل ممالك الموتى غير المنظورة كل رئاسات وسلطات السماء ـ رؤساء الملائكة، والملائكة، والسرافيم والشاروبيم ـ هذه كلها تطيع أوامره، تخرج وتدخل، تعمل هذا وذاك، كما أراد.

فتطلعوا إلى فوق يا أولاد الله. ان أباكم هو الملك الأعظم الذى "يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض" دا ٤ : ٣٥. "باركو الرب يا جميع جنوده خدامه العاملين مرضاته. باركى يا نفسى الرب" مز ١٠٣ : ٢١ و ٢٢

* * *

٢

وادى الآس

(زكريا ١ : ٧ ـ ١٧)

انقضت على الرؤيا السابقة ثلاثة شهور، وحل شهر شباط الذى تبدأ الاشجار فيه أن تفرخ. ويقول زكريا "رأيت فى الليل". فماذا رأى؟

ان جاز لنا اتباع رأى أحد المفسرين فاننا نتصور انه هنالك واد أخضر قريب من بيت النبى وكان مليئا بأشجار الآس الجميلة التى يجتاز فى وسطها مجرى مياه. ولعله تعود أن يلجا إلى هذا المكان للصلاه كما كان يلجأ الرب لأشجار الزيتون خارج أورشليم. ومما يلاحظ أنه منذ عودة المسبيين من بابل كان يرتاد هذا الوادى الأخضر ساكبا قلبه فى كلمات تماثل تلك التى نطق بها الملاك الشفيع فيما بعد "يارب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة" ع ١٢.

جميل جداً أن يصلى المرء فى حضن الطبيعة، فالاتساع العلوى يوحى بالأبدية وعدم التغير، وموسيقى الطبيعة العذبة ـ سواء كانت فى حفيف النسيم مع أوراق الاشجار أو خرير المياه على الصخور ـ تتجاوب مع صوت الصلاة والتضرعات.

كانت هنالك أهمية خاصة في وجود أشجار الآس التى كانت تنمو هناك فى تواضع وجمال ورائحة عطرية. فهذه الأشجار متوطنة فى بلاد الفرس وأشور. واسم استير. "هدسة" معناه "آس". اذا فقد كان يشير إلى عودة المسبيين من أراضى الشمال، وكان جماله المتواضع يرمز إلى حالة الشعب المختار الوضعية الذين لم يكونوا فيما بعد يقارنون بالأرز الممتد أو البلوط المتأصل فى الأرض، بل كانوا كالآس الذى وان كان جميلا ودائم الخضرة إلا أنه كان نباتا متواضعا. ان الكثيرين من المؤمنين يشبهون الآس، فقلبهم ليس متكبرا وأعينهم ليست مستعلية، ولا هم يسلكون فى العظائم أو فى عجائب فوقهم بل يهدئون ويسكنون أنفسهم كفطيم نحو أمه، ويركزون رجائهم فى الرب من الآن وإلى الدهر مز ١٣١.

فى تلك الليلة، التى ربما تكون قد تلت نهارا مليئا باختبارات روحية غير عادية، رأى زكريا نفسه فى الوادى المحبوب لديه محاطا بأشجار الآس، واذا بينها "رجل راكب على فرس أحمر" وخلفه رفقاء كثيرون راكبون خيلا حمراً وشقرا وشبها. بدا الوادى كله حيا بهذه الشخصيات العجيبة. لاشك فى أنها كانت هنالك فى كل مرة كان النبى يتمشى فيها أو يجثو فى تضرعاته لكنه لم تنفتح عيناه لرؤيتها من قبل. آه لاعيننا التى تمسك بصفة مستمرة عن أن تبصر جماعة

ملائكة الله المجندين والذين يتجمعون لمعونتنا وخدمتنا. ان رمال الصحراء تفيض منها ينابيع لا نراها بينما يموت أسماعيلنا عطشا والجبال مليئة بالخيل والمركبات النارية لكننا نرتعب كأنه لا يوجد شئ يعوق العدو عن الفتك بنا. ان الرب المجيد يحيط بنا كما يحيط نهر كبير باحدى المدن، لكن العين المفتوحة هى وحدها التى تستطيع أن تبصر وجوده للدفاع والحمى.

كان طبيعيا أن تثير هذه الرؤية السماوية دهشة النبى ولذا طلب تفسيرها. "فقلت يا سيدى ما هؤلاء"؟ وجه هذا السؤال إلى صديق سماوى كان زكريا فى شركة مستمرة معه. وطالما أشار إليه بأنه "الملاك الذى كلمنى" ع ٩و ١٤و ١٩، ٤: ١و ٤و٥، ٥: ٥و ١٠، ٦: ٤. ويجب التمييز بين هذا الزائر السماوى وبين "ملاك الرب" المشار إليه فى ع ١٢، والذى لا يمكن أن يكون سوى ملاك العهد، ربنا المبارك نفسه الذى قدم إليه راكبو الخيل تقاريرهم ع ١٠و ١١.

لقد كان موضوع تعزية مستمرة للقديسين أن يدركوا بأن حياتهم تحت حراسة مباشرة من الملائكة الحراس وفى رعايتهم. ولا يزال الله يوصى ملائكته لحفظنا مز ٩١: ١١ لا يزال مستعداً أن يرسل ملاكه قدامنا ليجئ بنا إلى المكان الذى أعده خر ٢٣: ٢٠. لا يزال الملاك

المفسر يتحدث معنا ـ أو يتحدث فينا على حد تعبير جيروم ـ ويقول "انا اريك ما هؤلاء".

ان النفس الطاهرة، التى اتخذت من وادى الآس مكانا للصلاة والتى تعودت.مدة سنوات طويلة أن تسكب تضرعاتها وتوسلاتها أمام الله، حتى ولو كانت اجابة الصلاة قليلة، هى التى يكشف عنها الحجاب فى العالم غير المنظور وقتيا، وفى تلك اللحظة السعيدة تنفتح العين لترى خدمات ملائكة الله حينما تروح وتغدو فى العالم حاملة رسائله، وتنفتح الأذن المطهرة لتصغى إلى أحاديثة السماوية عن شئون البشر سيما عن شفاعة المسيح من أجل خاصته. "فأجاب الرجل الواقف بين الآس وقال هؤلاء هم الذين أرسلهم الرب للجولان فى الأرض". واذ انتظر النبى باصغاء تام سمع التقرير الذى قدمته الملائكة للرئاسة، وكان تقريراً اتفقوا عليه بالاجماع: "قد جلنا واذا الأرض كلها مستريحة وساكنة".

كان السلام وقتئذ يرفرف على كل العالم. اذ كانت امبراطورية كورش الجديدة قد استقرت آمنة، وتحت حكم خلفائه الاقوياء بطلت الاضطرابات والقلاقل الامر الذى أدى إلى سقوط امبراطورية الكلدانيين.

لكن بجانب السلام والهدوء والرخاء التى كانت تسود كل الممالك المجاورة كانت الاحوال بين جماعة المسبيين الذين عادوا إلى بلادهم على العكس من ذلك. ان كان هنالك مكان أخضر مزدهر فكان يجب أن يكون هذا هو الجبل الذى اختاره الرب لنفسه، ومع ذلك فحتى هذا كان قاعا صفصفا. كان هذا الفارق العجيب داعيا إلى أن يطلب ملاك العهد من الله أن يظهر الفارق من أجل أولئك الذين أعادهم من أرض العدو. "فاجاب ملاك الرب وقال (كأنه يترجم عن فكر النبى) يارب الجنود إلى متى أتت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا"؟.

هذه لمحة جميلة عن الشفاعة التى تصدر عن كهنوت ربنا الملكى صادقى غير المتغير. ان المؤمن اذ يراه فى خدمته الهرونية التى بها كفر عن الخطية بذبيحة نفسه يجد تعزية كبيرة أن يدرك بأنه كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق، لا بداية أيام ولا نهاية حياة، بل يبقى كاهنا إلى الابد، حيا فى كل حين ليشفع فى شعبه فى الهيكل السماوى (عب ٧). "سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة. ولكننى طلبت (١) من أجلك" لو ٢٢: ٣١و ٣٢. يا للبركات التى لا يعبر عنها التى تشملنا نتيجة لشفاعته من أجلنا.

---

(١) او "صليت" حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة الانكليزية.

"فأجاب الرب (أى ملاك العهد) الملاك الذى كلمنى بكلام طيب وكلام تعزية" كأن الآب قد سمع واستجاب شفاعة الابن وأعاد إليه جوابا حوله إلى ملاك زكريا الحارس، فأمر النبى بدوره أن يذيعه بصوت عال "هكذا قال رب الجنود غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرة عظيمة".

بعد ذلك جاءته اعلانات أوضح عن ارادة الله: هى أنه غاضب على الأمم التى تعدت وصاياه، وانه قد رجع إلى أورشليم بمراحل كثيرة، وان البيت المقدس لابد أن يبنى ثانية، ويمد مطمار البناء ثانية على أورشليم، وان مدن يهوذا هى مدنه التى سوف تفيض خيرا وأن الرب يعزى صهيون ويختار أورشليم.

استيقظ زكريا واذا هو حلم. ولكن ألم يكن أكثر من هذا؟ الم يذهب إلى ذلك الوادى عند الفجر بدهشة جديدة ورهبة لم يعهدها من قبل؟ ألم تخلق فى روح الشعب عزيمة جديدة لاتمام عملهم وذلك عندما سمعوا ما قد رآه والرسالة التى أرسلت إليهم؟ ان كان الله معهم فمن ذا الذى يستطيع أن يكون عليهم؟ ان كانت الملائكة محيطة بأورشليم فأنها لابد أن تقوم ثانية من هذا الخراب الجاثم فوق

صدرها. كانت عودة الله إلى مدينته تعنى عودتها إلى ذلك الجمال الذى كان يسبب دهشة العالم وحسده مز ٤٨ .

قد تقع هذه الكلمات تحت نظر بعض الذين يئنون ويتوجعون من أجل خراب بيت الله، سواء فى الكنيسة العامة أو فى دائرة محبوبة من دوائر الخدمة، التى يظنون أن الصلوات سكبوها بدموع من أجلها عديمة الجدوى. هل انتظر هؤلاء خمس عشرة سنة كما انتظر زكريا؟ هل كان لهم وادى الآس الذى سكبوا فيه التضرعات الوفيرة؟ هل ظلوا ثابتين غير مزعزعين وسط النكبات العامة المحيطة بهم؟ كم يكون سرورهم واغتباطهم وشكرهم لو أنهم استطاعوا أن يسمعوا الكلام الطيب وكلام التعزية الذى يقال. لأنه عندما يصلى الرجال والنساء هكذا فانهم يرددون صلاة الشفيع الأعظم وتصبح صلواتهم مبشرة بعودة الله إلى ميراثه بالمراحم الكثيرة. عندما يضع الله حالة كنيسته فى قلوب شعبه بحيث يتمخضون من أجلها، تحدث نهضة عظيمة فى عمله.

هل تشعر أيها القارئ الكريم بألم ممض بسبب ضغط النكبات التى ظلت طويلا؟ ان تأديبات الله كثيراً ما بولغ فيها بواسطة أولئك الذين ساعدوا على ازدياد النكبات. ان الخدمة التى كانت نشيطة أصبحت

الآن عديمة الحركة، وبيتك قد يكون الآن خربا، وقلبك قد يكون مليئاً بالحزن والهم. لكن تشجع، فان هنالك ذاك الذى هو حى إلى الأبد يشفع. لقد نقشك يسوع على كفيه. وحالتك الاليمة مرسومة أمامه. انه سوف يتكلم معك كلاما طيبا وكلاما معزيا. هذه هى كلماته "ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفى عصيانكم" ار ٣ : ٢٢. "أنا أشفى ارتدادهم. أحبهم فضلا. لأن غضبى قد ارتد" هو ١٤ : ٤. "فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله اذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم" عب ٧ : ٢٥.

* * *

٣

الرؤية الثانية

(زكريا ١ : ١٨ ـ ٢١)

كانت الرؤية الثانية مليئة بالتعزية. استمر الكلام الطيب وكلام التعزية الذى قرأنا عنه فى الفصل السابق.

عندما تطلعت حفنة المسبيين الذين رجعوا لبلادهم إلى الممالك الجبارة التى تحيط بهم والتى كانت تهددهم امتلأوا رعبا وفزعا. كيف يستطيعون الوقوف أمامهم؟ وكان هنالك بشلام ومشردات وطبئيل وسائر رفقائهم من الامم التى أسكنها نبوخذ نصر فى السامرة. كان هنالك رحوم صاحب القضاء وشمشاى الكاتب على أتم استعداد لاستخدام القلم للتأثير على الملوك الذين فى عبر النهر كى يتوقف عمل بناء الهيكل (عز ٤ : ٧ ـ ١٠). وكانت نتيجة المؤامرات التى تحاك لدى الملوك الذين بعدت مسافتهم هى بصفة مستمرة العمل على عدم انعاش الحياة فى الأمم الخاضعة لهم كاليهود الذين كانوا يستميتون لاستعادة استقلالهم. كان عمل بناء الهيكل قد توقف فعلا مدة خمس عشرة سنة تحت ضغط هذه القوات المعادية وكان يخشى جدا أن تقابل العزيمة الجديدة للقيام واستئناف البناء بنفس المقاومة

وتلقى نفس المصير. لذلك كانت رؤية النبى فى غاية المناسبة "فرفعت عينى ونظرت واذا بأربعة قرون".

فى لغة شعب يألف رعاية الأغنام كاليهود يمثل القرن عادة كبرياء وقوة العدو الذى يهجم على القطيع. "خلصنى من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش استجب لى" مز ٢٢ : ٢١.

ويتحدث دانيال عن القرن الذى حارب القديسين فغلبهم حتى جاء القديم الأيام دا ٧ : ٢١ و ٢٢. تمثل ثورة الانسان الوحشية ضد شعب الله بهجوم قطيع خنازير برية طويلة الأنياب أو بهجوم الخرتيت (وحيد القرن) أو بهجوم ثور برى على قطيع خراف مسالمة عزلاء ليست لها أية قوة للمقاومة سوى الهرب.

ويذكرنا العدد "أربعة" بجهات البوصلة الأربعة، ويتضمن أنه حيثما التفت الشعب وجدوا أعداء نصبوا أنفسهم لمقاومة كل مجهود يبذل لتجديد حياتهم كأمة حية.

ففى الشمال كان الكلدانيون وأشور والسامرة. وفى الجنوب كانت مصر وبلاد العرب. وفى الغرب كانت فلسطين. وفى الشرق كان العمونيون والمؤابيون. والمرجح أن روح الله تطلع إلى وراء هذه، إلى الممالك الأربعة الوثنية التى احتلت ولا تزال تحتل "أزمنة الأمم" والتى

رآها دانيال ممثلة فى الأربعة المعادن، أو التى مثلت فى الأربعة الحيوانات الكبيرة التى برزت من البحر، الواحد بعد الآخر.

فى ذلك الوقت لم يكن قد ظهر سوى بابل ومملكة ملاى وفارس وكان يرتقب فى الأفق اليونان وروما، وهذه الأخيرة كانت تشمل ممالك أوربا الحديثة. لكن هذه كلها كانت متضمنة فى ملوك الأرض والرؤساء الذين تآمروا معا على الرب وعلى مسيحه قائلين.

لنقطـــع قيودهمـــا

ولنطرح عنا ربطهما مز ٢

ويجب أن لا يغيب عن ذهننا أن الله نفسه هو الذى أعطى هذه القوات العالمية سلطتها، يقول فى أشعيا "غضبت على شعبى دنست مراثى". "ودفعتهم إلى يدك" اش ٤٧ : ٦و٧. وفى دانيال يكشف الرب الحجاب ويبين أن رؤساء العالم لا يمثلون مجرد لحم ودم بل أرواحا خبيثة مقتدرة تحركهم وتوعز إليهم دا ١٠ : ١٣ ـ ٢٠. وطالما كان شعب الله كاملين فى ولائهم وطاعتهم له فانهم لا يخافون قوة أى خصم فى الوجود. ولكن عندما تنفصم عرى تلك الرابطة المقدسة التى تربطهم به يبدو كان كل قوى الشر قد أطلقت لتهجم عليهم وتبطش بهم حتى يتم تأديبهم ويرجعوا إلى محبتهم الأولى.

لوطلب منا أن نذكر أسماء القرون التى تهجم على الكنيسة فى الوقت الحاضر لما ترددنا عن القول انها هى: الكهنة الكاذبو الاسم، روح العالم، العلم المسيحى المذهب الروحانى (أى الاعتقاد بمخاطبة الارواح).

الكهنة الكاذبو الاسم. أولئك الذين زجوا بأنفسهم فى الخدمة الكهنونية وهم فى الواقع لا يخدمون الا بطونهم وشهواتهم الخاصة ومصالحهم الشخصية.

روح العالم. هى التى أشار اليها الرب فى وصفه لشهوات سائر الاشياء التى تدخل لاتلاف البذار التى تزرع فى قلوبنا لتجعلها عديمة الثمر.

العلم المسيحى. هو الذى تحت استخدام الاصطلاحات المسيحية بكيفية مزخرفة غرارة ينتزع من المسيحية عقائدها الجوهرية. اذ يدعى بأن الخطية مجرد وهم باطل وقصاصها حلم ميت. وينكر عقيدة الفداء وعمل المسيح الكفارى. ويعلم الناس بأن ينظروا إلى الخطيئة والمرض والموت كأفكار خاطئة لا كأفعال خاطئة.

المذهب الروحانى. هو الذى يجعل من المسيح مجرد وسيط، ويصنع أعمالا عجيبة مضللة بمساعدة أرواح مضللة.

وحينما ننظر إلى هذه وأمثالها من الشرور التى تهجم على الكنيسة الآن يجدر بنا استخدام كلمات النبى "فقلت للملاك الذى كلمنى". ما هذه "فقال لى هذه هى القرون التى بددت يهوذا واسرائيل وأورشليم".

فى كل جيل توجد أمثال هذه الاختبارات. فى بعض الأحيان عندما نرفع أعيننا نجد أننا محاطون بمقاومات ومهددون بقوات معادية. تأملوا فى جماعة الشهداء الذين شهدوا لله فى كل جيل والذين يستطيعون أن يرددوا كلمات أعظم متألم "أحاطت بى ثيران كثيرة". اقوياء باشان اكتنفتنى". فغروا على أفواههم كأسد مفترس مزمجر، مز ٢٢ : ١٢ و ١٣. يقول اغناطيوس كانوا مثل عشرة نمور مفترسين اذا عوملوا باللطف ازدادوا شراسة. ان "بلاندينا" الفتاة الأسيرة، و "جرمانيكوس" الشاب النبيل، والولدانيين الذين أثارت سوء المعاملة التى عوملوا بها غضب كرومويل وتأملات ملتون، والهولانديين فى صراعهم الطويل مع فيليب عندما رأى القادة أن بيوتهم قد غطتها مياه المحيط التى سبق أن نجاهم منها أجدادهم ومدام "جيون" التى هجم عليها زوجها وحماتها والخدم والكهنة، "وصموئيل رذر فورد" ومئات من أترابه الذين سلبت أموالهم بمنتهى القسوة والوحشية، "ووليم تنديل" المشهور مترجم الكتاب المقدس إلى الانكليزية، و"جون باتون" الذى هاجمه

المتوحشون ـ هؤلاء ان هم الا عينة من كثيرين لا يمكن أن يحصى لهم عدد من كل امة وجنس وشعب، قد رأوا رؤية القرون الأربعة.

لكن هناك أمر آخر، ولا شك أنه له أهميته، ذلك أن النبى قال "أرانى الرب أربعة صناع (١)". أننا لا نجد صعوبة فى اكتشاف مصدر الفزع لنفوسنا، لكننا نحتاج إلى اليد الإلهية لكى تكشف لنا عن النجاة المحققة. "وصلى اليشع وقال يارب افتح عينيه فيبصر. ففتح الرب عينى الغلام واذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول اليشع" ٢مل ٦ : ١٧.

كان الصانع لبابل هو كورش، ولبلاد الفرس الاسكندر، ولليونان الرومان، ولروما الغاليون. كانوا يختلفون بعضهم عن بعض، لكنهم كانوا أجمعين فى منتهى القسوة وكانوا يحذقون عملهم. قال أسبرجن فى تأملاته عن هذه الفقرة: "على من يريد أن يفتح محارة أن يستعمل موسى لأن بعض الاعمال لا تحتاج إلى الرقة بقدر ما تحتاج إلى القوة. والعناية الإلهية لا تحتاج إلى كتبة أو مهندسين لقطع القرون بل إلى صناع. يحتاج العمل إلى الرجل الذى أعطى عملا أفرغ فيه قوته وضرب بالمطرقة، أو قطع الأخشاب التى أمامه بكل قوته وعزمه. وعلينا

(١) أو "نجارين" حسب الترجمة الانكليزية.

أن لا نفزع من أجل قضية الله، فان كانت القرون صعبة المراس وهب الصناع قوة لقطعها".

ولنذكر كيف أن الله وجد في كل عصر رسوله المناسب فاثناسيوس قضى على الأريوسية، وأوغسطنيوس على المانيكية، والكثيرون غيرهما قضوا على البدع المختلفة التى ظهرت فى أيامهم. أن الرب يعرف أين يجد خدامه وعندما تحين الساعة المحددة يوجد الصناع على أتم الاستعداد. "وهذه هى القرون التى بددت يهوذا حتى لم يرفع انسان رأسه. وقد جاء هؤلاء ليرعبوهم وليطردوا قرون الأمم الرافعين قرنا على أرض يهوذا لتبديدها".

يا أولاد الله، لقد وجهت اليكم قرون كثيرة لتبددكم لقد قضت السنين تلو السنين لافساد خططكم، وطالما انسكبت الدموع السخينة من عيونكم. لكن صديقكم القدير يسوءه جدا أن تؤذيكم هذه القرون أكثر مما يلزم لتأديبكم، وهو قد عزم على تحطيمها. هو قادر على هذا لانه حلف أن "كل آلة صورت ضدك لا تنجح. وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه" اش ٥٤ : ١٧ . طالما كان التأديب قد تمم مهمته فانه سيوقف، طالما كانت النار المطهرة قد طهرت الزغل فانها ستنطفئ، طالما كانت المذراة قد عزلت التبن عن الحنطة فان الحنطة لا

تعود ترفع فى مهب الريح. تعزوا تعزوا قال الهكم لأنه "كلحيظة تركت وبمراحم عظيمة ساجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وباحسان ابدى أرحمك قال وليك الرب" اش ٥٤ : ٧ و ٨.

٤

رجل بيده حبل قياس

(زكريا ٢)

منح زكريا رؤية ثالثة. "فرفعت عينى ونظرت واذا رجل بيده حبل قياس" ع ١.

كان هذا طبيعيا جداً. فاننا نحلم بما يشغل تفكيرنا فى اليقظة. والأرجح أن أورشليم كانت مليئة بالمساجين المنشغلين بتخطيط الشوارع الجديدة والأسوار الجديدة.

كانت قد بذلت جهود ضعيفة نحو عادة البناء، لكن إلى ذلك الوقت كانت المواقع القديمة لازالت تميزها الحوائط السوداء وأكوام الخرب، كانت أسوار المدينة بصفة خاصة تشبه أنقاض المحاجر أخيراً أيقظت العزة القومية همة المواطنين من أجل مدينتهم، والأبطال من أجل أرض آبائهم وكان خير ما يمثل هذه الروح الجديدة التى انبعثت فى كل الأمة هو ذلك الشاب الذى بيده حبل قياس.

"فقلت إلى أين أنت ذاهب. فقال لى لأقيس أورشليم لأرى كم عرضها وكم طولها" وكأنه كان يعين حدود المدينة الجديدة، ويبين الاتجاهات التى ينبغى أن تأخذها الأسوار وأين تقام. ثم استمر يقول "ان

المدينة لن تتعدى هذه الحدود مهمت نمت واتسعت" وهذا ما نميل إليه نحن. فاننا جميعا نميل إلى وضع حدود لاتساع مدينة الله لم يضعها الله.

يأتي المتعصب لمذهبه أو كنيسته بحبل القياس في يده ويقول لا خلاص لاى شخص خارج كنيستى مهما سمت حياته ومهما قام بخدمات جليلة في سبيل نشر الإنجيل حتى ولو ضحى بحياته في هذا السبيل.

يأتى المتشائم بحبل القياس فى يده ويرسم مدينة الله فى أضيق حدودها، ويبرر تكهناته باقتباس الآية "لا تخف أيها القطيع الصغير" لو ١٢ : ٣٢ أو هذه الآية "ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة **وقليلون** هم الذين يجدونه" مت ٧ : ١٤ . فى بعض الأحيان يخشى أن لا يدخل، وفى بعض الاحيان الاخرى يشك فى دخول أى شخص آخر سواه. قد تنشأ هذه الأفكار السقيمة أما عن عدم الخبرة بأعمال الله العظيمة في العالم المتسع أو عن مرارة

(م ٢ ـ نبى الرجاء)

فى النفس كما كان الحال مع إيليا الذى توهم أنه قد ترك وحده.

ويرفض "التجريبى" أن يعتبر أى شخص مسيحيا الا أن كان قد اختبر مثله نفس الشكوك ونفس المخاوف ونفس الفرح ونفس وسائل الانقاذ والتطهير. ولا يحصى فى مدينته أى شخص إلا اذا كان قد سلك خطوات معينة فى الحياة الروحية.

أما صاحب نظرية الخلاص الشامل فانه يشتط إلى الطرف الآخر ويبنى أسواره كل حول البشرية ويحصى فى داخلها كل عضو فى الجنس البشرى.

أنه ليس من اختصاصنا أن نحدد حدود مدينة الله أو نصر على آرائنا. هذه أمور سرية تتعلق بالرب الهنا. فمن الناحية الواحدة هو وحده الذى يستطيع أن يكتشف السبعة آلاف ركبة التى لم تجث للبعل ولم تقبل تمثاله. سأل الرسل مرة معلمهم "أقليل هم الذين يخلصون" فكانت اجابته لهم "اجتهدوا (أنتم) أن تدخلوا" لو ١٣ : ٢٣و ٢٤ كانه قد قال لهم لا تبالوا ان كانوا قليلين أم كثيرين. انه ليس من اختصاصنا أن نقيس المدينة بل أن نكون متيقنين من أننا قد دخلناها.

وقال ملاك آخر لملاك النبى الحارس "اجر وكلم هذا الغلام (الذى بيده حبل القياس) قائلا: كالاعراء تسكن أورشليم من كثرة الناس

والبهائم فيها". (أو "ان أورشليم ستسكن بغير أسوار من كثرة البشر والبهائم فيها" حسب ترجمة اليسوعيين أو "ستسكن كقرى بغير أسوار" حسب الترجمة الانكليزية) كان عديم الجدوى أن تحدد للمدينة حدود لأنه كان معينا لها أن تزيد على كل حدود عادية وتتسع اتساعا هائلا بحيث يتعذر اقامة أية أسوار حولها. ان عدد السكان العظيم الذين سوف يسكنون هذه المدينة المقدسة يفوق كل حدود كما فاقت مدينة لندن العظيمة حدود كل أسوارها القديمة بكيفية هائلة جداً.

هكذا سوف يكون الحال مع المخلصين. انه لا يجوز لنا أن نحصى ضمن عددهم أى واحد ممن لا يعرفون الله ولا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح، بل أحبوا الظلمة أكثر من النور لان اعمالهم كانت شريرة. لكن بخلاف هؤلاء سوف يكون هنالك جمهور لا يستطيع أحد ان يعدهم من كل أمة وقبيلة وشعب ولسان، كالكواكب فى كبد السماء أو الرمل على شاطئ البحر، جمهور يكفى أن يعوض عن تعب نفس الفادى ويروى محبة الله المتلهفة.

وهنا قد يقوم اعتراض: ان كانت المدينة بلا أسوار أفلا تكون مفتوحة لكل من هب ودب؟ من ذا الذى يمنع المغتصب والمجرم من الدخول؟ لو أن العدو قال "انى أصعد على أرض اعراء (بلا اسوار) انى

آتى الهادئين الساكنين فى أمن. كلهم ساكنون بغير سور وليس لهم عارضة ولا مصاريع. لسلب السلب ولغنم الغنيمة" حز ٣٨ : ١١ و ١٢. فكيف يكون حال اسرائيل؟ حالما تخطر بالبال هذه الفكرة يأتى الجواب فى الحال "وأنا يقول الرب أكون لها سور نار من حولها واكون مجدا فى وسطها" زك ٢ : ٥. ولعل التشبيه مستمد من النيران التى يشعلها الصيادون حولهم فى الليل لكى يكونوا فى مأمن من هجوم الوحوش المفترسة. تأمل قليلا فى معنى هذه العبارة. فأنه كما أن المكان المحاط بالنيران لا يقترب منه وبأ ولا يدنو منه عدو هكذا أن سيّج الرب حول شعبه فان كل قوات الأرض والجحيم لن تقترب منهم.

هذا ما يمكن أن يتمتع به كل جماعة المؤمنين بصفة مستمرة: ان كانوا يعيشون فى بلاد الصين ذى المدنية القديمة أو مجاهل أفريقيا، لا تحيط بها أسوار الثروة أو النفوذ العالمى او الجاه، فانهم يعيشون مطمئنين كل الاطمئنان لان سور نار الحضرة الإلهية يحيط بهم من كل جانب وهذا يجعلهم فى حماية كاملة. يفعل لهم الله ما تفعله الاسوار وأكثر. والواقع انه خير لنا أن نعيش فى مدينة غير مسورة أو بلا حماية لان هذا يجعلنا أكثر شعوراً بوجودنا وسط أسوار الحضرة الإلهية وأكثر اتكالا عليها. ويقينا أن هذا كان فى فكر الرسول حينما قال "لذلك أسر

بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لاجل المسيح. لانى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى" ٢كو ١٢ : ١٠.

هل تشعر بانك كمدينة غير مسورة لا يحول شئ بينك وبين هجمات الفقر والنكبات والزملاء الذين لا يخافون الله والاخوة الكذبة؟ لا تيأس فانك مع ذلك تستطيع أن تعيش وسط سور نار الحضرة الإلهية محاطا بالوقائد الأبدية التى يرسلها لحمايتك اش ٣٣ : ١٤ لقد صرح بنفسه قائلا "كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه" اش ٥٤ : ١٧. يستطيع كل منا أن يتهلل مع داود قائلا "لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفين على من حولى. لأنك أنت يارب ترس لى. مجدى ورافع رأسى" مز ٣ : ٣و٦ . تذكر على الدوام بأن تتحقق من أن الله بينك وبين كل شئ. يضع البعض ظروفهم بينهم وبين الله. لكن الافضل لنا جدا أن نضع الله بيننا وبين ظروفنا. عندئذ نكون آمنين مطمئنين منطرحين على الأرض فى العراء لا يغطينا من فوق سوى ندى السماء لكننا نكون محاطين بأسوار منيعة ومغلقا علينا بابواب القصور. بل هو جميل جدا أن نكون محرومين من كل ما يميل البشر أن يعظموه لكى يكون اعتمادنا الوحيد على الله. فاننا لن نكتشف ما يستطيع أن يفعله للنفس الا عندما نجد متكلا أحر سواه.

بعد ذلك توجه ثلاثة نداءات.

النداء الأول: لأهل السبى ع ٦و٧. كان لا يزال هنالك عدد وفير من اليهود في بابل، ولهؤلاء وجهت دعوة حارة "يا يا اهربوا من أرض الشمال يقول الرب. فانى قد فرقتكم كرياح السماء الأربع يقول الرب. تنجي يا صهيون الساكنة فى بنت بابل وهذه الدعوة كان يدعمها اعتباران. الأول ان السلامة مضمونة ان عادوا. كان الله مستعدا لحمايتهم بالسرعة التى بها يرفع الانسان ذراعه ان تعرضت عينه للخطر. والثانى ان الخطر أكيد ان استمروا فى بابل. فقد كان الله بدأ يهز يده على تلك المدينة الأثيمة كأشارة للام التى اضطهدتها لكى تجتمع على انقلابها وتقتسم غنائمها.

أيها الاخ المسيحى، ألا تزال مقيما فى بابل مشاكلا أهل العالم ومتشبها بروح العصر؟ أصغ إلى الدعوة الإلهية التى تدعوك لكى تقوم وتخرج. لا يمكن أن تكون هذه هى راحتك. ولا تغالط نفسك بأنك تستطيع أن تتصرف كما يتصرف العالم ومع ذلك تبقى فى مأمن من خرابه. ان الغزاة لن يميزوا بين اليهود والبابليين، بل يقتلون بلا تمييز. والناموس الطبيعى اذا كسره مدعىّ المسيحية صارت عواقبه وخيمة عليه كما على أهل العالم. قد تكون أبنا لله، لكن ان كان هذا لا يمنعك

من التصرف كابن للعالم فانه لن يمنعك من أن تكابد نفس النكبات التى تحل بأهل العالم لما يأتى التأديب الذى لا مفر منه.

كم هو معز جدا أن ندرك بأن نفوسنا فى مأمن تام وعزيزة جدا عند الله كحدقة عينه ع٨، لانه لا يوجد أى عضو فى الجسد فى مأمن تام مثل العين. هنالك ثروة من الوسائل التى تعمل على حمايتها وصيانتها: عظام الجمجمة الامامية القوية، الجبين أو حاجب العين لكى يمنع الغبار من الدخول، الجفن لكى يقيها من سدر البصر (الزغللة)، غدد الدموع الحساسة التى تفيض الدموع الثمينة بصفة مستمرة فوق سطحها. هذه كلها نجدها فى الهنا، فانه على أتم الاهبة بصفة مستمرة لكى ينذرنا ويدافع عنا ويطهرنا. "أنا الرب حارسها أسقيها كل لحظة لئلا يوقع بها. احرسها ليلا ونهارا" اش ٢٧ : ٣.

النداء الثانى لصهيون ع١٠. قد تكون ابنة صهيون حفنة صغيرة مبعثرة قائمة وسط خرب المدينة السوداء، لكنها تستطيع مع ذلك أن تترنم وتفرح طالما كان الله قد أعلن استعداده لكى يأتى ويحل فى وسطها ويساعد بنيها فى عملهم ويجذب لنفسه أمما كثيرة. "ترنمى وافرحى يا بنت صهيون لأنى هانذا آتى واسكن فى وسطك يقول الرب". طالما كان الله فى وسطها فانها ليست فى حاجة للاسوار

أو الحصون، للمباني الفخيمة أو غيرها من مبان أخرى. عندما يكون مسكن الله مع الناس ويسكن هو معهم ماسحاً من عيونهم كل الدموع فانه لا يبقى بعد حزن ولا صراخ ولا وجع رؤ ٢١ : ٣و٤ بل يمتلئ الفم ضحكا واللسان ترنما مز ١٢٦ : ٢. في بعض الاحيان يكشف القناع عن المسيحي فيرى هذا. انه يثق بأنه طالما كان الله قد أتى وسط عمله فانه لا يعود بعد عمله هو بل عمل الله، وهو ليس ألا آلة في يد الله. الله يعزى شعبه ويعلمهم، الله يجدد الخرب. الله يبنى أسوار أورشليم، الله يصنع خيرا بصهيون بحسب مسرته الصالحة، الله يجذب الشعوب التى لا تفاخر بأنها انضمت إلى جماعة معينة أو كنيسة أو خادم معين، بل إلى الرب، وصارت خاصته. انه ليس سور نار من حولها فقط بل "مجد في وسطها".

النداء الثالث موجه لكل البشر ع١٣ "اسكتوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه". في بعض الاحيان يصور لنا الكتاب المقدس الله كنائم، ليس لان الطبيعة الإلهية تكل أو عديمة الاكتراث، فان حافظنا لا ينعس ولا ينام، بل لكى يصور لنا ما قد يبدو لنا انه لا يبالى. وهذه الأحيان هى دائما تلك التى تكون فيها صهيون

نفسها مستغرقة فى سباب عميق. فان قوة الله وعطفه ورقته لن يعتريها أى تغيير، لكن قد يتوقف عملها بسبب بلادة شعبه وعدم ايمانهم.

وعندما تستيقظ الكنيسة بالتوبة والانسحاق والصلاة يقال ان الله استيقظ. قيل هنا عن يقظة العائدين من السبى نتيجة لكرازة زكريا وحجى أنها يقظة الرب. وليس هذا معناه ابدا أنه قد نعس.

عندما يستيقظ الله فليسكت قدامه كل البشر. ليكن هنالك سكوت التوقير، والانتظار، والطاعة المتواضعة، والرغبة الحارة. "اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لانه قد استيقظ من مسكن قدسة "انما لله انتظرى يا نفسى لأن من قبله رجائى"مز ٦٢ : ٥.

٥

يهوشع الكاهن
(زكريا ٣)

يخبـرنا عـزرا أن من بين الذين رجعوا مع زربابل من بابل يشوع (أو يهوشع) و ٤٢٨٩ كاهنا (عزرا ٢ : ٣٦ ـ ٣٩). لكنهم كانوا فى حالة يرثى لها وقد أعطانا ملاخى وصفا عن حالتهم، التى يقول عنها انه لا وجه للمقارنة بينها وبين حالة الكهنوت الأصلية الذى يمثله فينحاس.

لقد احتقروا اسم الله، وبلا خجل أو حياء قربوا على مذبحه الأعرج والاعمى والسقيم. لقد قالوا ان مائدة الرب تنجست وثمرتها محتقر طعامها. انهم لم يترددوا عن أن يقولوا ان الخدمة الكهنوتية مشقة، فتأففوا وجاءوا بالمغتصب والأعرج والسقيم. لقد حادوا عن الطريق هم أنفسهم واعثروا الكثيرين فى الناموس (ملاخى ١).

تحول النبي من هذه الاوصاف الرذيلة لكى يصور ذلك الكاهن النبيل الذى بسبب غيرته المتقدة من أجل كرامة الله رد سخطه عن شعبه وحصل لنفسه ولنسله من بعده على ميثاق كهنوت أبدى. (عد ٢٥ : ١٠ ـ ١٣).

أعلن روح الله هذه الحقيقة "كان عهدى معه للحياة والسلام وأعطيته اياهما للتقوى فاتقانى ومن اسمى ارتاع هو. شريعة الحق كانت فى فيه. واثم لم يوجد فى شفتيه. سلك معى فى السلام والاستقامة وأرجع كثيرين عن الاثم" (ملاخى ٢ : ٥و ٦).

وكقصاص للكهنوت وقع كل جماعة الكهنة تحت حكم مروع "فأنا أيضا صيرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طرقى" (ملاخى ٢ : ٩).

هنالك ما يحملنا على الاعتقاد أيضا بأن الشعب قد تغافل عن التعليمات التى تتعلق باعالة الكهنة، ولذلك لم يكن لهم ثياب ولا أوان ولا ما يلزم لخدمة بيت الله خدمة لائقة. من هنا نرى أن الرؤية التى رآها زكريا عن يهوشع رئيس الكهنة ورفقائه الجالسين أمامه كانت مناسبة لتلك الظروف: "وارانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب.. وكان يهوشع لابسا ثيابا قذرة وواقفا قدام الملاك" لم تكن هنالك عمامة على رأسه، ولا شئ على جسمه يشير إلى مركزه الرفيع، لكن كانت الثياب القذرة تنم عن أهمال الشعب الأسيف. ويبين الوصف على الاقل الفكرة التى يمكن استنتاجها عن الكهنة، والتى

بسببها يحق التساؤل عما اذا كانت هنالك أية فائدة من بناء الهيكل أن كان الخدام الذين يمارسون الخدمة غير جديرين بدعوتهم العليا.

مرت أوقات فى الماضى كان فيها قادة الكنيسة فى سائر فروعها المختلفة فى حالة ينطبق عليها هذا الوصف. كانت الخدمات فى بيت الله تؤدى بحالة قذرة وبتهاون وعدم اكتراث. كانت الحالة الروحية بين الشعب تخضع لملذات معلميهم الروحيين ومصالحهم المادية، كانت الخدمات تؤدى بكيفية غير لائقة، والصلوات بلا وقار، والموسيقى خالية من الذوق، والمبانى بحالة قذرة لا نسمح بها فى بيوتنا لحظة واحدة. كل شئ قذر، تعلوه أقذار العنكبوت، فى حالة تنبئ بالاهمال. مثل هذه الحالة لا يزال ينطبق عليها الوصف أن الكنهة فى ثياب قذرة.

لكن أليس هنالك معنى أعمق فى هذه الكلمات؟ لنذكر كلمات الملاك "اسمع يا يهوشع الكاهن العظيم أنت ورفقاؤك الجالسون أمامك لانهم رجال آية. ألا يمكن القول ان هذه تعنى ان الكهنة هنا يمثلون كل من جعلوا كهنة لله ودعوا "لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" ١ بط ٢ : ٥؟ ألا توجد أوقات فى حياتنا نشعر فيها أننا غير أهل لتقديم هذه الذبائح الروحية؟ ربما يكون هذا فى ساعة الصلاة المسائية عندما يكون أفراد الأسرة مجتمعين، لكننا لا نجسر على فتح

الكتاب المقدس أو الاشتراك فى الصلاة لأننا ارتكبنا فى الساعات السالفة بعض الاخطاء التى لوثت القلب وعرقلت السلام الداخلى. قد نذهب إلى بيت الله في صباح يوم الله ونتخذ مقعدنا المعتاد فتجول في مخيلتنا ذكريات بعض الخطايا أو الطرق الملتوية لجمع المال التى لا تتفق مع دعوتنا كمسيحيين، وعندئذ تبكتنا ضمائرنا، أو قد نصعد على المنبر، أو نقف في الفصل للتعليم أو نختلط بزملائنا فى الخدمة، فنتذكر بعض الاخطاء السابقة كحدة الطبع والكبرياء والغرور، أو بعض الكلمات والأفعال التى لاتنم ألا عن حماقة، ونشعر اذ ذاك بعدم الاستحقاق للوقوف كخدام لله. فى كل هذه الأوقات نكون كيهوشع لابسين ثيابا قذرة.

ويزداد الشعور بالخجل حينما نقف أمام ملاك الرب "وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب". في غبش هذا العالم يرى الكثير من الأمور مستساغا مع أنها لو سلط عليها نور وجه الله الكامل لشجبت فى الحال دون أى تردد. ان الثياب التى تلبس فى أيام الشتاء القصيرة المظلمة تطرح جانبا عندما يحل فصل الربيع لانها لا تحتمل أن يسطع عليها النور الفاحص. في الحياة العادية فى بيوتنا لا نبالى كثيرا بهندام ثيابنا كما نعنى بها أشد العناية فى بعض المناسبات

الخاصة حيث تسلط علينا أعين الغرباء. هكذا نحن نميل إلى أن نقارن أنفسنا بأنفسنا أو بالآخرين ونؤكد بأن عاداتنا ليست دنسة بكيفية بشعة. اننا عندئذ مع الأسف نفكر في الظلام. لكن عندما ينبثق نور عرش الله نصرخ مع أيوب "ولو اغتسلت فى الثلج ونظفت يدى بالاشنان فانك فى النقع تغمسنى حتى تكرهنى ثيابى" اى ٩ : ٣٠و ٣١.

لابد أن يهوشع شعر بما شعر به أشعياء عندما كان يجوز فى أزمة حياته العنيفة. مع أنه كان نبياً، محبوبا من الصالحين ومكروها من الطالحين، الا أنه عندما رأى السيد جالسا على كرسى عال ومرتفع انبعثت من قلبه صرخة أليمة "ويل لى انى هلكت" لا شك فى انه كان آخر رجل فى اسرائيل يعتقد فيه الآخرون أنه خليق بهذا الاعتراف، لكنه كان أول من يقدمه.

ان أعظم القديسين هو الذى يدون اعترافاته كاغسطينوس. كلما ازدادت معرفتنا بالله ازددنا كراهية لأنفسنا وازدادت فينا الرغبة فى التوبة.

وماذا يجب أن يعمل فى مثل هذه الظروف؟ أنترك كهنوتنا؟ أندعى بانه خال من المواهب الإلهية؟ كلا. بل لنلبث قائمين أمام الملاك. هو يعرف الكل، لا داعى للتملص من عينيه الفاحصة، فان محبته لا

نهائية. هو قادر أن يزيل عنا آثامنا ويلبسنا ثيابا نظيفة، ذلك البر الذى هو تبررات القديسين.

فى هذه اللحظات ينفث فينا عدونا اللدود كل سمومه. "والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه". منذ اللحظة التى فيها طرح عن مركزه الأول قد أصبح عدوا لله، عدو كل خير. مشتكيا على الاخوة. انه يكتشف النقط الضعيفة فينا ويهجم عليها، يكتشف النقائص الدفينة فى حياة القديسين ويذيعها على الملأ يكتشف أقل أثر للشر أو شبه الشر ويكشفه أمام ملائكة الله. انه حاد كالصلب وقاس كالهاوية. آه، انه مخيف. انه يفكر كيف يهجم علينا بمنتهى القسوة والحقد.

عندما نصلى يسرع فى أن يقدم الينا الافكار العالمية والعبارات التى اعتدنا أن نرددها آليا، ويثبط من عزيمتنا. ثم يقول متهكما "أتصغى إلى هذا الشخص؟ أليس هذا صوت شخص قد فديته؟".

وعندما نقوم بخدمة لله يحرص على أن يعرف رغباتنا ونوايانا ويبلبل أفكار زملائنا وينفث فينا سموم الانانية ومحبة الذات بدلا من طلب مجد المسيح. ثم يقول متهكما "أهكذا تكون الخدمة التى يقدمها إليك خدامك المختارون؟".

وعندما نقترب من المائدة الربانية وتكون قلوبنا باردة أمام هذا السر الرهيب يصفق يديه شامتا ويسعى لكى يعير العريس بفتور العروس.

وعندما نحتمل التجربة بصبر وشهامة كأيوب يدعي العدو الألد أننا نفعل ذلك بباعث الانانية "هل مجانا يتقى أيوب الله".

ان الشيطان لا يستطيع أن يقترب من ابن الله الآن الا عن طريق الكنيسة التى هى أعضاء جسده، لكنه لا يترك فرصة دون أن يندس إليه لكى يتهمهم.

ولنعد الآن لنتأمل فى تدخل ملاك العهد واجابته. كان تدخلا اختياريا دون أن يطلب منه. قبل ان يقول يهوشع "خبئنى" سيج حوله صديقه الوفى وشفيعه بسياج من حمايته وأسكت العدو "لينتهرك الرب يا شيطان" لقد مات الرب يسوع المسيح ككاهن هرونى، لكنه ككاهن ملكى صادق حى إلى الأبد ليشفع فينا. ولما توجه الينا سهام العدو فأنه يتلقاها فى شبكة شفاعته وينتزع منها قوة الضرر. انه يجيب قبل أن ندعو. وقبل أن توجه الينا الاتهامات القوية الخبيثة يدفعها عنا. وفى نفس اللحظة التى قال الرب فيها لبطرس ان الشيطان قد طلبه لكى يغربله كالحنطة قال له أنه قد صلى من أجله.

هذا التدخل مؤسس على نعمة الاختيار، لأنه يقول "لينتهرك الرب الذى اختار أورشليم" قبل أن يختارها، لابد أنه قد سبق فرأى كل أحوالها التى ستؤول اليها، ارتدادها وعصيانها، ثيابها القذرة، جروحها وقروحها المنتنة، لكنه بالرغم من كل ذلك قد وضع قلبه عليها. لا شك اذا فى أنه لن يتخلى عنها بسبب اتهامات العدو لها. لقد عرف أسوا ما يمكن أن تؤول إليه قبل أن يختارها لنفسه. لن يحصل شئ لم يسبق أن يراه فى نور الازلية الكامل. لا يمكن أن يوجه الشيطان أى اتهام لم يسبق الشفيع الاعظم أن يزنه بميزان سبق علمه الإلهى. لقد سبق أن رأى أشر ما يمكن ان يحصل قبل ان يحدد اختياره النهائى.

هذه الحقائق هى الاساس الذى نضع عليه رجاءنا . عندما تكون فى شدة الألم لدى تذكر بعض السقطات الحديثة، ويكاد يبتلعنا اليأس اذ تزن شناعة تصرفاتنا وخستها، يغطينا الخجل بسبب دناءة ووضاعة شهواتنا النجسة فلنتأمل فقط فى هذه الأقوال التى تؤكد لنا أن الله قد اختارنا فى المسيح قبل تأسيس العالم وأنه قد سبق فعين الذين سبق فعرفهم. لأن رفض الله لنا الان معناه نقص فى قدرته اللانهائية. نعم أيها الخصم اللدود، انك لن تستطيع أن تحدث الله عنا بأسوأ مما يعرف. وبالرغم من كل هذا فأنه يحبنا وسيستمر يحبنا.

وفضلا عن ذلك فأن هذا التدخل لا يمكن أن يتراجع لأنه قد خطا خطوات كثيرة. ان الاستعارة التالية تزيدنا تأكيداً وطمأنينة "أفليس هذا شعلة منتشلة من النار" تصور نفسك جالسا كل الصباح الى مكتبك ترد على خطابات. ترتب بعض الأوراق وتلقى إلى سلة المهملات أوراقا كثيرة لست فى حاجة اليها. فيتجمع بعد ساعتين أو ثلاث كوم من الاوراق تريد التخلص منها فتشعل فيها النار. وفجأة تفزع اذا تذكرت أنه كان بين هذه الاوراق مستند هام أو ورقة مالية أو ورقة بذلت فيها جهدا عنيفا. وفى أسرع من لمح البصر تندفع نحو النار المشتعلة تنتزع الورقة وتحاول أن تستردها من ألسنة النار المندلعة. لكن ماذا تظن فى شكل الورقة. لقد اصفرت بسبب الدخان، وتفحمت حروفها فأصبحت هشة، وتفتحت فيها ثغرات هنا وهنالك ـ هذه شعلة مشتعلة من النار. أكان معقولا أن تنتشلها ان لم تقدر قيمتها وأهميتها؟ وبعد أن تبذل هذا المجهود الأليم لانقاذها أيعقل أنك تلقيها ثانية فى النار تحترق؟ وهل كان يليق أن ينتزع الله اسرائيل من بابل وينفق مثل ذلك الوقت ويبذل مثل تلك العناية من نحوهم ان كان يقصد أن يهلكهم فى النهاية؟ ان كان الله قد عمل كل هذا فأنه لا يبين محبته فحسب بل يتضمن أيضا استمرار هذه المحبة.

يا لها من تعزية عميقة تلك التى نجدها هنا. عندما نتأمل فى حياتنا الماضية ندرك كيف قد أنقذنا بالجهد من أخطار عصفت بالآخرين. لقد اشتركنا فى أعمال أتلفت كثيرين تلفا لا يعوض ومع أن أطرافنا قد تفحمت وأصبحت هشة الا اننا قد نجونا من نتائجها النهائية.

لقد انتشلنا الله من النار. ماذا يمكن أن نستنتجه من مثل هذا التدخل الرحيم سوى أننا قد حفظنا لقصد سام نبيل، وان الله سوف يستخدمنا لملكوته ومجده بالرغم من كل ما يقوله الشيطان أو يفعله، ذلك لأن الله يرى ـ ما لا يراه الشيطان ـ مرارة توبتنا، وشدة حزننا، ورغبة قلوبنا الخالصة فى خدمته.

كانت زوجة منوح صادقة عندما سكنت خوف زوجها الجبان قائلة "لو أراد الرب أن يميتنا لما كان أسمعنا مثل هذه" قض ١٣ : ٢٣ ان الماضى حجة لتشديد الايمان. يمكن أن نشبه الله بشخص يوظف أمواله فى عمل معين، وبالرغم من ان هذا العمل يبدو أنه غير مربح الا انه لا يريد ان يبطله، بل هو مضطر أن يستمر فيه حتى ينقلب الوضع فيبدأ العمل يدر عليه الأموال ويعوض عليه كل ما مضى. هل اختطفك الله من الهلاك، من بين أنياب الأسد، من فم جهنم؟ هذا دليل على أنه سيكمل إلى النهاية. ليأت الشيطان بأسوأ ما عنده فان

الله لن يقدر أن ينكر نفسه. "والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا. والذين بررهم فهؤلاء مجدّهم أيضا. فماذا نقول لهذا. ان كان الله معنا فمن علينا" يو ٨: ٣٠و ٣١.

* * *

٦

المنارة

(زكريا ٤)

لدى عودة اليهود من بابل داهمتهم صعوبات هائلة. نشأت من مقاومة جيرانهم لهم، وافتقارهم إلى الموارد المالية، وعدم مقدرة قادتهم. ولعل العامل الأخير كان أشد الصعوبات. فيهوشع كان لابسا ثيابا قذرة، وزربابل كان مترددا فى سعيه لبناء الهيكل. لقد وضعت يداه الأساسات، لكنهما بعد مجهود بسيط ارتختا. كان الدم الملكى يجرى فى عروقة لكنه كانت تعوزه عزيمة القادة وأيمانهم. لقد توقف بناء الهيكل طيلة بضع سنوات. وكان كل ما حوله ـ أكوام الخرب وأدوات البناء التى علاها الصدأ ـ يوحى بضرورة استئناف العمل. ولعل الشك قد تسرب الى قلوب الجميع وتناقلت الأقوال بأنه لا رجاء فى أى تقدم طالما كان زربابل هو المتزعم.

قام هذا التشاؤم وتلك الصعوبات كسلسلة جبال بين جماعة السبى العائدين وبين اتمام قصدهم، كما تقوم جبال الهملايا حاجزا منيعا بين الهند وبين أية غارة قد تسولها نفس العدو ليقوم بها عليها من الشمال.

في هذا الموقف الدقيق رجع الملاك الذى كلم زكريا واوقظة كرجل أوقظ من نومه وذلك لاعادة الطمأنينة الى نفوسهم. انه لم يقلل من شأن مثبطات العزائم لكنه أتى برسالة الرجاء. فأنه حتى لو أعوزت زربابل المؤهلات اللازمة كقائد عظيم الا أن نجاحهم فى مهمتهم لا يتوقف عليه بل على القدرة الالهية التى كانت تعمل فيه لاتمام القصد الالهى. "فأجاب وكلمنى قائلا هذه كلمة الرب إلى زربابل قائلا لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى قال رب الجنود. من أنت أيها الجبل العظيم. امام زربابل تصير سهلا. فيخرج حجر الزواية بين الهاتفين كرامة كرامة له".

وبعد ذلك أتت الى زكريا رسالة قوية صريحة جدا مؤكدة له أن الله سيتمم كلمته على يدى هذا الغصن الذى من بيت داود "وكانت الىّ كلمة الرب قائلا أن أيدى زربابل قد أسستا (وضعتا أساس)، هذا البيت فيداه تتممانه". بأى فرح جديد اصبح النبى يتأمل فى حالة ساحة الهيكل وفى "يوم الأمور الصغيرة" كما كان يبدو وقتئذ. بأى قوة جديدة أصبح يتحمل الانتقادات المرة من الشيوخ الذين رأوا مجد البيت الأول ولم يعتقدوا أنه يرجى أى خير للعمل الذى بدأ بهذا الضعف وبهذا التعطيل. لقد استطاع أن يرى "رئيس يهوذا" وبيده الزيج (خيط القياس)

والمسطرين يضع حجر القمة فى موضعه وسط هتافات الشعب الحارة. وأفضل من هذا أنه استطاع أن يرى أعين الله،، سبعة فى عددها بسبب كمالها، جائلة فى الأرض كلها ومبتهجة لانها رأت الزيج فى يده. وهنا نقف برهة لنمتص حلاوة المنظر وما يوحى به، وهو أن الله يفرح بأى عمل يقوم به شعبه من أجله، ويشترك معهم فى الابتهاج عندما يتوج عملهم باكليل النجاح.

ولزيادة ايضاح المعنى الذى قصده الله أعطى النبى رؤية المنارة (أى المصباح)، وكان القصد منها أن يبين بأن فتيلة المصباح وهى ضرورية للنور لعبت دوراً هاما فى ابرازه. انها ليست لها فى ذاتها قوة على الاضاءة. انها تستطيع فقط أن تدخن وتتفحم وتحترق. كل عملها أنها للواسطة بين الزيت فى مخزنه وبين النار التى تشتعل فى طرفها. هكذا كان زربابل ضعيفا ولينا كالفتيلة لكن لم يكن هنالك شئ من نقائصة حائلا دون اتمام العمل الذى دعى اليه ان كانت روحه تشتعل بالنار الإلهية وتستمد القوة بصفة مستمرة من الروح القدس.

كانت المنارة التى رآها زكريا فى نشوة فرحه على شكل تلك التى فى الهيكل والتى لا نزال نرى صورها. كان على رأسها خزان كبير

"كوز" لايداع الزيت فيه، وكانت الفتيلة تغطس فى الزيت لتستمد منه ما يكفى لاشعالها فتضئ لكل من فى البيت. ومن الساق الرئيسى كانت تتفرع فروع للسبعة السرج. وكان لكل سراج سبع أنابيب، أى ان جملة الأنابيب كانت تسعا وأربعين. وعلى جانبى هذه المنارة الضخمة كانت هنالك زيتونتان لتوصيل الزيت من قلبيهما الى الخزان بصفة مستمرة بواسطة أنبوبتين من ذهب، لكى تستطيع المنارة ـ فى حجم خزانها المحدود ـ أن تمد السرج بما تحتاجه من زيت بصفة مستمرة.

كان معنى الرؤية واضحا فيما يتعلق بحالة اليهود. كانت المنارة تمثلهم، وكانت سرجها الكثيرة والمعدن النفيس الذى صنعت منه (أى الذهب) تشير الى كمالهم وقيمتهم النفيسة فى نظر الله. كانت مهمتهم أن يسطعوا بنور المعرفة على العالم الجالس فى الظلمة، ولمساعدتهم فى اتمام هذه المهمة كانت تأتيهم الامدادات من المصادر العلوية الالهية عن طريق أنبوبتين ذهبيتين الأولى تمثل يهوشع الكاهن والثانية تمثل زربابل الرئيس. اذا فقد كان هذان الرجلان مجرد واسطة لنقل الامدادات الالهية. لم تكن كفايتهما من نفسيهما بل من الله. ومهمة اسرائيل لا تتحقق بهما بل بروح الله العامل فيهما. قد يبدو

عليها الضعف الكامل والعجز المطلق لكن مصدرا حيا من الزيت كان مستعدا لامدادهما بزيت لا ينضب معينه.

هذه الرؤية مليئة لنا نحن أيضا بالتعليم والتشجيع والنصائح، فخليق بنا أن نتأمل فيها.

ان الاصحاح الأول من سفر الرؤيا الذى يشبه عمل الكنيسة فى الزمان الحاضر بسبع مناير مضيئة يوحي الينا بتطبيق رؤية زكريا هذه على أنفسنا. ان الفجر لم ينبثق بعد، والظلمة لا تزال تغطى الارض والظلام الدامس الأمم اش ٦٠ : ٢. لكن الله فى نفس الوقت قد دعا شعبه لكى يضيئوا كأنوار فى العالم متمسكين (ممسكين) بكلمة الحياة (فى ٢ : ١٥و١٦). فلندرك أهمية العمل العظيم الذى دعانا اليه الله، وسواء كان ذلك العمل هو أن نكون سراج البيت، أو مصباح الشارع، أو فنار الميناء، فلنحذر من أن نخبئه تحت مكيال لئلا يتعثر الآخرون لهلاك أنفسهم. ان الأنوار فى الليلة المظلمة يندر أن تنال شكر الناس أو اعترافهم بجميلها، لكننا مع ذلك لا نستطيع الاستغناء عنها. وبالرغم من أن أبناء هذا العالم يندر أن يدركوا أنهم مدينون للكنيسة المسيحية الا أنهم تسوء حالتهم جدا بدون أشعتها المثلثة: أشعة الايمان والرجاء والمحبة.

ان الكوز الذهبى المملوء بالزيت اشارة واضحة لعلاقة فادينا بشعبه. "لانه فيه سر (الاب) أن يحل كل الملء" كو ١ : ١٩ . ان ملء الروح القدس لا ينقص أبدا بل هو دائم الفيضان. ولا يمكن أن نتصور أية موهبة من مواهب الروح القدس دون أن نجدها في ربنا المجيد، ولا يمكن أن توجد صفة يحتاجها المؤمن لكى يضئ فى هذا العالم المظلم ليست مذخرة فيه "فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا" كو ٢ : ٩ . له روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة. روح المعرفة ومخافة الرب اش ١١ : ٢ . وهو "قد صار لنا حكمة وبرا وقداسة وفداء" ١كو ١ : ٣٠ .

فيا أولاد الله. ضعوا هذا فى قلوبكم دواما أن فى المسيح مذخر جميع كنوز الحكمة والعلم كو ٢ : ٣ ، هو خزان مصادر الله غير المحدودة لكى نستقى من مخازنه بصفة مستمرة وتنتعش نفوسنا اذ نأخذ من ملئه نعمة فوق نعمة.

ثم أعطى التفسير لزكريا بأن الزيتونتين القائمتين عن يمين الكوز ويساره هما "ابنا الزيت الواقفان عند سيد الارض كلها". ان كان هذا الرمز يشير مبدئيا الى عنصرى الامة اليهودية، العنصر الملكى والعنصر الكهنوتى، فانه فى حالتنا يشير الى كهنوت ربنا الملكى وكهنوتنا نحن شعبه. هو كاهن فوق عرشه، كاهن الى الأبد على رتبة ملكى صادق

الذى كان ملك ساليم كما كان كاهن الله العلى. لو أنه كان هروننا فقط لكان قد صنع سلاما بيننا وبين الله بسفك الدم ودخل قدس الأقداس ليتشفع، لكن الحجاب كان قد أسدل وراءه سليما دون أن ينشق ولما كان قد أتى بنا الى قدس الأقداس، ولما أمكن أن يهب حياة ملكية ظافرة تتحدى سلطة الخطية وتنتصر عليها. لكن المسيح ملك وكاهن، ولذلك فأنه لا يقربنا الى الله فحسب لكنه يجلسنا معه أيضا فى سماويات عظمته الأزلية.

نعم أيها الحبيب، قد لا نكون سوى فتائل، ليست فينا أية قوة. قد ندخن ونتفحم ونحترق، لا يحس بنا أحد وسط شعلة النار التى نحملها، لا ننال أجرا ولاشكورا، قد نكون مشاقة خشنة. لكن لنتشبع بالزيت من ملء يسوع المسيح، لنثبت فيه، لنتعمق فى بئر مصادره، وهكذا تنطبع على حياتنا صورته المجيدة فنضئ للآخرين.

ومن اليسير أن نرى مقدار التعزية التى بعثتها هذه الرؤية فى نفوس جماعة السبى القليلة العدد وهم وسط تلك الخرب. كان يبدو أولا كأن سلسلة من جبال الصعوبات تحول بينهم وبين اتمام مهمتهم العظيمة. أما الآن فقد تعلموا أنهم ليس الا مجرد آلات فى يد الله. وأن الله مستعد أن يتمم الغاية التى يقصدونها. وأن ذلك لم يكن

بالقدرة ولا بالقوة بل بروح الله الذى ينسكب فيهم وبهم بكل الملء كانسكاب الزيت فى الأنبوبتين الذهبيتين وبهما من الزيتونتين.

كثيرا ما تعترض سبيلنا جبال من الصعوبات يبدو أنه من المستحيل التغلب عليها فنصرخ "أيها الجبل العظيم". وفى بعض الأحيان نشكو من عجزنا المتناهى ومن ثقل عبء الحياة وتعبه. كيف نكون صالحين على الدوام؟ كيف نطيع الرؤية السماوية؟ كيف نستمر؟ يحدثنا الكتاب أن دانيال "كان (أو استمر) الى السنة الأولى لكورش الملك" دا ١ : ٢١ يا لعظمة هذه المدوامة والاستمرار فى عمل الخير، ان قدر لنا ان نعيش عشرين أو ثلاثين أو خمسين عاما من الآن فى عالم ملئ بالضيقات والأخطار، ولا تتناقص الالتزامات باقتراب مجئ العريس هل نستطيع أن نصبر الى المنتهى؟ ألا ينطفئ السراج قبل مجيئه؟ ان كان الانسان الخارج يفنى فهل يتجدد الداخل يوما فيوما؟

دفعتنى هذه التأملات الى مناجاة فتيلة مصباحى يوما ما. لقد خدمت مصالحى زمنا طويلا، ظلت تخدمنى فى صمت وأنا أقرأ بجانبها. وقد احسست بالخجل لأننى لم أحس بخدمتها الوديعة. فقلت لها:

ـ اننى أقدم لك الشكر من أجل الخدمة الطويلة.

ـ وماذا قدمت لك.

ـ لقد قدمت أنت الى النور لأقرأ.

ـ هذا غير صحيح فليس لدى نور لأقدمه، والدليل على هذا أنك ان انتزعتنى من خزان الزيت ترى كيف أنطفىء بسرعة. وللحال تتباعد عنى كما عن مشاقة مدخنة. لست أنا الذى اشتعل بل الزيت الذى أتشبع به. هذا هو الذى يضىء لك. أما أنا فكل مهمتى أن أتوسط بين الزيت فى الخزان وبين النار المشتعلة فى طرفى. تأمل فى هذا الطرف الأسود. انه يفنى ببطء لكن النور يضىء بصفة مستمرة.

ـ ألا تخشين من أن تتلاشى. انه لم يبق الا بوصات قليلة، هل تستطيعين أن تضيىء الى أن تحترق وتفنى كل بوصة؟

ـ أنا لا أخاف طالما كان الزيت باقيا، وطالما كانت هنالك يد رحيمة تزيل عنى من وقت لآخر الطرف الذى قد تفحم وتشذبنى وتهيىء للنار طرفا جديداً. هذه هى حاجتى المزدوجة: الزيت والتشذيب. ان وفرت لى هذين فأننى مستعدة أن أضىء الى النهاية.

ـ فقلت اذ تنحيت عنها. أشكرك أيها المعلم الكريم. لقد بعثت فى روح الشجاعة والاقدام، سوف أتعلم المثابرة أنا أيضا طالما كنت ثابتا فى ذاك الذى ادخر فيه الله كل مصادر الروح التى لا تنضب، وطالما

كانت اليد الالهية الرحيمة تستخدم مقص الفتائل الذهبى برقة لتنقينى فأثمر مخترقة الى مفاصل النفس والروح لكى أدخل راحته.

يظن البعض أنهم يستطيعون أن يختزنوا كمية وفيرة من النعمة فى عشية وضحاها. لكن هذا لا يتفق مع درس الفتيلة. فانها لا تختزن شيئا، وليس لها مخازن. انها مفلسة بصفة مستمرة، لكنها تستمد الزيت من المخزن بصفة مستمرة. هكذا ينبغى نحن أن نعيش، فنقدم كل ما عندنا فى كل لحظة دون أن نشك فى مصادر النعمة فى المستقبل. تحمل الألم فى هذه اللحظة واثقا أن هنالك فى يسوع صبرا كافيا للحظة القادمة. تمم خدمتك المسيحية بنشاط كامل كأن كل خدمة هى خدمتك الأخيرة. ان مصادر الله لا تنضب، وعملك لا يتوقف على قدرتك أو قوتك بل على روحه.

فى كل لحظة أنا محفوظ فى محبته.

فى كل لحظة تأتينى الحياة من فوق.

ناظرا الى يسوع حتى يشرق المجد.

فى كل لحظة أنا ملك لك يا ربى.

وفى هذه الرؤية أيضا نرى تحذيرا لنا أجمعين يجب ان نصغى اليه. يجب أن نثبت فى المسيح بكل حرص لكى يثبت هو فينا. واضعين

نصب أعيننا دواما أنه ملك، الأمر الذى يتطلب طاعتنا له، وأنه كاهن، الامر الذى يتضمن انه يصالحنا مع الله. بالطاعة والايمان تستمر وتتقوى ربط الشركة بصفة مستمرة. فى كل وقت نعمل كما يأمرنا ملكنا ولو كان ذلك لا يتفق مع ميولنا الطبيعية، وفى كل مرة نلجأ لكاهننا نتشبث بتلك الشركة التى تتحد طبيعته بطبيعتنا.

معذرة ان كنت أكرر هذه الفكرة مرارا وتكرارا. انى كلما فكرت فى العلاقة بين الفتيلة ومصادر الزيتونة التى لا تنضب وجدت فى ذلك رمزا نفيسا للعلاقة التى بينى وبين ربى. فى كل ساعة يتصاعد الزيت فوق الفتيلة الى اللهب، وهكذا نجتاز نعمة الرب المقام ـ دون أن نحس بها ـ عن طريق ايماننا الى الحياة الجميلة المنيرة المشتعلة بالنار مع الله. آه يا نار الله، انك سوف تشتعلين فينا بصفة مستمرة، وسوف تكون نفوسنا شموعا لك، لأننا قد تعلمنا أن نتأيد بالقوة بروحه فى الانسان الباطن ليحل المسيح بالايمان فى قلوبنا اف ٣ : ١٦ و ١٧ .

يجب أن نتوقع أن يستخدم المسيح مقصة الذهبى، فعلينا ان لا نحجم عنه. عندما يبدو انه يضحى بجزء جوهرى من طبيعتنا فانه انما يقص الجزء الذى قد تخرب واسود وتفحم. ثق فيه. ان ذلك الجزء الذى قصه كان يدخن ويتلف شهادة باقى الأجزاء. كان خيرا له أن

يقص. ولنتيقن انه لا يستعمل الا المقص الذهبى. الا نثق فى اليد الممسكة به؟ انها تحمل آثار مسامير الجلجثة.

وأحذر أيضا من ان تسد انابيب الطاعة الذهبية، الطاعة له ككملك والثقة فيه ككاهن، لئلا يتوقف مرور الزيت الذهبى. انها قد تسد سريعا بسبب الاهمال أو عدم الالتفات أو عدم الاستعمال.

لا تقلق بسبب بطء تقدمك فى حياتك نحو الكمال المسيحى. هذا هو يوم الأمور الصغيرة، يوم وضع حجر الأساس لا وضع حجر القمة، يوم اختبار خيط البناء لا يوم هتاف اكمال البناء. لكن تشجع فان سبع أعين الرب على العامل وعلى العمل. انها تجول فى الأرض كلها، لكنها تستقر مستريحة فى تقدم عمله. انه سوف يكمل ما تهتم أنت به ولن يترك عمل يديه.

سوف تتوج النعمة كل العمل.

فى الأيام الابدية.

وتضع حجر القمة فى السماء.

وعندئذ تستحق منا كل ثناء.

(م ٣ ـ نبى الرجاء)

٧

الخارج

(زكريا ٥و٦ : ١ ـ ٨)

هنالك علاقة واضحة بين الرؤى الثلاثة التالية المقترنة بكلمة "خارج" "اللعنة الخارجة على وجه كل الأرض" ع٣، "الايفة الخارجة" ع٦، "مركبات خارجات" ص ٦ : ١ ـ ٥. وكأن زكريا قد سمح له أن يقف في مركز الأنبياء، حيث الله، واستطاع أن يرى مخارج العناية الالهية بصدد التدبير الأدبي لشعبه وللعالم.

(١) **رؤية الدرج الطائر:** رأى النبي في رؤية فرخ ورق ضخما، أوراقا معدا للكتابة، طائرا ببطء في كبد السماء. لقد بدا كأنه يرفرف محاولا أن يستقر، كما يبدو الطير الجارح عندما يريد أن يستقر على قطعة أرض محروثة. أما اتساعه العظيم، عشرون ذراعا × عشرة أذرع، وهذه هي ابعاد رواق الهيكل، فقد كتب على كلتا صفحتية لعنات الناموس، على احدى الصفحتين تلك اللعنات التي تدين السارق، وعلى الأخرى تلك التي تدين الحالف كذباً.

سبق ان رأينا كيف عاد الله الى أورشليم ليكون سور نار من حولها ومجدا في وسطها ص ٢ : ٥، وان الهيكل كان لابد ان يعاد بناؤه،

ويعاد الكهنوت. لكن كان ينبغى ان يتعلم الشعب ان عودة الله اليهم ليكون قريبا منهم بهذا الوضع أمر خطير رهيب. ان كان قد أبدى استعداده للدفاع عنهم أمام اعدائهم فقد عزم أيضا على ان يبعد عنهم كل أولئك الذين قد تعدوا ناموسه المقدس.

واضح أن هذه الجماعة القليلة قد لعنت بسبب هاتين الخطيتين. لقد كان الناس مزورين وكاذبين. كانوا يمتصون دماء عملائهم كلما سنحت الفرصة ثم يكذبون بلا حياء لكى يداروا تزويرهم. هاتان هما الخطيتان اللتان تلازمان جماعة التجار عادة. وتجدهما متفشيتين فى المدن الكبيرة الآن فى الشرق والغرب كما كانتا فى أورشليم يوم أن جدد بناؤها. لكن الله يطاردهما دواما، وذلك لصالح الهيئة الاجتماعية التى تسوء حالتها جدا ان لم تطارد هاتان الخطيتان. ان هذا الدرج لا يزال معلقا فوق كل المحال التجارية فى كل العالم، ولا تزال لعنة الله تهدد بالنزول عليها.

أما نتيجة اللعنة فنجدها مبينة برمز واضح جلى. لقد ظهرت بعد وقت أنها قد استقرت على بعض بيوت معينة. لعلها كانت بيوتا محترمة، بيوت أشخاص موقرين، بيوتا امتلأت بالأضواء والاحتفالات العظيمة، لكن عندما استقر الدرج عليها كان هذا معناه ان أصحابها

سارقون او حالفون. "انى أخرجها يقول رب الجنود فتدخل بيت السارق وبيت الحالف باسمى زورا".

لم تكن هذه نهاية الرؤية ولا نهاية التصرفات الالهية التى تصفها الرؤية. فقد استمر الملاك المفسر فى حديثه قائلا "وتبيت فى وسط بيته وتفنيه على خشبه وحجارته". كأن كل البيت قد بدأ يتلف منذ اللحظة التى استقر فيها الدرج فى البيت، وكان خليقا بصاحبه أن يردد كلمات سفر اللاويين " قد ظهر لى شبه ضربة (أو "بلوى" حسب ترجمة اليسوعيين) فى البيت" لا ١٤ : ٣٥.

كم كان مروعا أن تتم هذه الكلمات فى بعض أشخاص وعائلات نعرفها. فقد بدأ كأن البيت قد حلت به بلوى. لقد تلاشت الثروة التى جمعت بعد عناء كثير، وتلف الأبناء بكيفية تكسر القلب، وتلف صيت الأب بكيفية محزنة "الضربة قد امتدت فى البيت فهى برص مفسد فى البيت. انه نجس" لا ١٤ : ٤٤. ومن ذا الذى يستطيع الوقوف أمام هذه اللعنة انها تواجهه فى كل مكان. انها تتلف أعز ما لديه كما يتلف النمل الابيض الأثاثات. وكأنه قد حكم عليه أن يسمع كأيوب الرسل قادمين ليخبروه أنهم نجوا وحدهم لينبئوه بالمصير الأليم الذى حل به. سوف يتحول "خشبه وحجارته" الى رماد وتراب

بعد ان كانت تحفا رائعة فى البيت. هذا هو الأمر الواقع مع الالم المرير، وهذا ما يحدث مع الأسف الشديد.

(٢) **رؤية الأيفة**: بعد ذلك حول الملاك نظر النبى الى كبد السماء فرأى علامة أثر وضوحا. رأى ايفة حائمة فى الجو. فقلت ما هو. فقال هذه هى الأيفة الخارجة. وقال هذه عينهم (شبههم) فى كل الارض". وهذا يعبر على أن اليهود كانوا وقتئذ معروفين أنهم تجار يستعملون بصفة مستمرة الايفة (مكيال يهودى يسع نحو سبعة جالونات ونصف).

وللحال رفع الغطاء عن الايفة واذا بأمرأة تظهر جالسة فى وسطها. "فقال هذه هى الشر. فطرحها إلى وسط الايفة وطرح ثقل الرصاص (الغطاء) على فمها". ألا يبين هذا بكيفية واضحة أن الحياة التجارية بين هؤلاء التجار اليهود كانت قد افعمت بالشرور الكثيرة، وأنه كان هنالك تحالف بينهم وبين روح الشر غير المحسوس الأمر الذى يوضحه هذا الشر المجسم فى شكل امرأة؟.

عندما يغلق الناس خزائنهم الحديدية ويطوون دفاتر حساباتهم ويغلقون بيوتهم التجارية فانه كثيرا ما يبدو كأنهم يضعون ثقل الرصاص على فم الايفة التى تحوى الشر. أنهم يريدون اخفاءه عن اعين أقرب الناس وأعزهم لديهم. بل انهم يريدون اخفاءه عن عين الله نفسه..

في هذه اللحظة الحرجة رأى النبى عجبا جديدا "ورفعت عينى ونظرت واذا بامرأتين خرجتا والريح فى أجنحتهما. ولهما أجنحة كأجنحة اللقلق فرفعتا الأيفة بين الأرض والسماء". للقلق أجنحة طويلة ومتسعة. وهو أيضا طائر رحال. يستطيع بسهولة أن يقطع المسافة بين أورشليم وبابل. ولهذا نسبت لهاتين المرأتين أجنحة اللقلق. وكما يقف بجانب ابنا الزيت ليكونا فى خدمته هكذا تنفذ هاتان المرأتان مقاصدة بازالة الشر الذى يمثل سر الاثم الذى تحدث عنه الرسول بولس.

"فقلت للملاك الذى كلمنى الى أين هما ذاهبتان بالايفة. فقال لى لتبنيا لها بيتا فى أرض شنعار. واذا تهيأ تقر هناك على قاعدتها". كانت بابل بعيدة، وكانت هى كرسى الارتداد عن الله وعبادة الشياطين. فكان مناسبا أن يحمل اليها الشر. وفى هذا كان خلاص عظيم للارض المختارة.

يا للتعزية العظمى التى نجدها هنا. قد يكون الشر محصنا ومنيعا، ولكنه لابد أن يزول متى قام الله للدفاع عن شعبه. هل تئن وتتوجع بسببه؟ هل تريد التخلص من بعض صوره المريعة التى قد سببت لعنة حياتك زمنا طويلا وحجبت عنك وجه الله؟ تشجع بهذه الرؤية. ارفع عينيك لترى أجنحة اللقلق السريعة تحملها هبات النسيم الرقيق وقادمة

لتتمم الارادة الالهية. أن الله على أتم الاستعداد ليخلصك ويحررك ان أردت.

لقد اختبر الالوف هذا الخلاص من بعض صور الخطية المحيطة التى سقطت فى الحال كما سقطت الحية التى نشبت فى يد بولس، وذلك عندما تمتعوا بنعمة ملء الروح القدس. بعد أن تجدد أحد الخدام الأمناء اختبر هذا الخلاص فداس الخطية تحت قدميه، وصرخ قائلا يجب أن لا نهدأ حتى نتخلص من قوة الخطية وذلك بالأمتلاء من الروح القدس. وقال خادم أمين عن خادم آخر: لقد سقط هذا الخادم العظيم من الحرية المجيدة التى نالها الى روح الخوف والخطية والعبودية. لماذا؟ لانه لم يثبت فى المسيح، لانه لم يتمسك به من كل قلبه، لانه أحزن الروح القدس الذى يهب الحرية من الخطية كامتياز عام للكل. ومن هذا نتعلم اننا نتخلص من سلطان الخطية والظلمة طالما كنا ثابتين فى ذلك الذى هو نور الحياة. فاثبت فيه أنت أيضا تجد ان الشر رفع عن حياتك العملية.

(٣) **رؤية المركبات**: هذه رؤية الحماية والانقاذ. ظهرت أربع مركبات خارجات من الجبال المحيطة باورشليم. وفى كل حالة كان لون الخيل يعبر عن الرسالة التى حملها سائقوها الى الأمم المختلفة التى سبق

أن عذبت الشعب اليهودى من قبل. "فأجبت وقلت للملاك الذى كلمنى ما هذه يا سيدى. فأجاب الملاك وقال لى هذه هى أرواح السماء الأربع خارجة من الوقوف لدى سيد الارض كلها".

خرجت مركبتان الى أرض الشمال حيث تقع بابل. وتمثل خيلها الدهم (السوداء)الهزيمة واليأس. أما الخيل الشهب (البيضاء) فتمثل تقدم الشعب الغالب الذى سوف تهزم أمامه بابل هزيمة شنيعة، وهذه النبوة قد تمت على الأرجح عند قيام مملكة اليونان الثالثة فى ممالك العالم العظيمة، تحت قيادة اسكندر الأكبر.

أما الخيل المنمرة فقد خرجت نحو أرض الجنوب وهذه تمثل الاختبارات المختلطة، تمثل الويلات مختلطة بالتقدم والنجاح، التى سوف تصيب مصر الواقعة على حدود الأرض المقدسة الجنوبية. أما كلمة "شقر" فلعل أحسن ترجمة لها هى "قوية". ولذا فيبدو أن هذه المركبة قد خصصت للجولان فى الأرض فى مهمة الدفاع والتحصين. ان كان الشيطان يجول فى الأرض باحثا عمن يضره فان مركبات الله تجول لتأتى بالعون والاغاثة للقديسين.

ما أعظم التعزيات التى حملتها هذه الرؤية ولا زالت تحملها. انها تعلمنا بوضوح أنه حيث أزيلت الخطية من بين الله وشعبه فانه ينصب

نفسه حافظا رحيما لهم. كل آله صورت ضدهم لا تنجح، وكل لسان يقوم عليهم يحكم عليه، ويل لاعدائهم. لقد خرجت أرواح السماء مستريحة لانقلابهم، أما مختارو الله فانهم يسكنون أبدا فى ظل القدير وحمايته. "واقطع معهم عهد سلام وانزع الوحوش الرديئة من الأرض فيسكنون فى البرية مطمئنين وينامون فى الوعور" حز ٣٤ : ٢٥ .

٨

المسيح كاهن وملك

(زكريا ٦ : ٩ ـ ١٥)

وفى هذه اللحظة يتوسط سلسلة هذه الرؤى العجيبة حادث هام جاء الى أورشليم من بعيد، من بابل التى كان لا يزال يقيم فيها أغلبية اليهود، وفد مكون من ثلاثة يهود حاملين هدية من ذهب وفضة: وواضح انه قد قصد بها أن تكون كمساعدة لجماعة المسبيين العائدين القليلين فى عملهم العظيم. هذه مع الأسف لا تزال هى الطريقة التى بها يتم الكثيرون من المسيحيين عمل الله. أنهم يحجمون عن الخدمة شخصيا، وبدلا من ذلك يكتفون بتقديم مساعدات مالية للذين يبذلون من جهدهم وراحتهم وأرباحهم فى سبيل القيام بالخدمات الجليلة.

وكان الرجال الذين أحضروا الهدية هم حلداى (ودعى حالم فى ع١٤) وطوبيا ويدعيا. وقد استقبلهم يوشيا (أو حين) بن صفنيا.

أمر زكريا بأن يأخذ الفضة ويعمل تاجا أو تيجانا. وضعت هذه التيجان فى احدى المناسبات العامة وفى احتفال بسيط على العمامة

الطاهرة التى سبق وضعها على رأس رئيس الكهنة (ص ٣ : ٥) والتى سبق التحدث عنها.

كان هذا العمل يحمل معنى أعمق مما يحمله ظاهر الكلام. كانت الوظيفة الكهنوتية والوظيفة الملكية منفصلين عن بعضهما تمام الانفصال فى اسرائيل، وكثيرا ما كان شاغل أحديهما ينظر الى الآخر بنظرة الغيرة. وعندما أراد الملك عزيا أن يرفع بخورا على مذبح البخور وقاومة الكهنة كان البرص الذى ضرب به فى جبهته دليلا قويا على أن هاتين الوظيفتين كانتا منفصلتين كل الانفصال (٢ أى ٢٦ : ١٦ ـ ٢٠). لكننا نرى النبى هنا يجمع بين الوظيفتين فى شخص واحد بعمل رمزى أكيد بناء على أمر الله. واذا استخدم لقبا معروفا عن المسيا أستمر يقول "هكذا قال رب الجنود قائلا. هوذا الرجل **الغصن** اسمه ومن مكانه (أى من غموض بداءاته الأولى) ينبت ويبنى هيكل الرب. وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه ويكون كاهنا على كرسيه، وتكون مشورة السلام بينهما كليهما" أى بين هاتين الوظيفتين، الكهنوتية والملكية.

(١) لاحظ تسمية الرب يسوع بالغصن. كانت عائلة داود كشجرة بليت لم يبق منها سوى جذعها، لكن من أصل وضيع محتقر كهذا

ينبت غصن يصبح مرة أخرى غابة كريمة تخلد ذكرى ونفوذ السلالة الملكية. هذا الخيال جرى على لسان أكثر من نبى واحد، وفى كل مرة لا يمكن الا أن يطبق على "يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم" مت ١ : ١. قال أشعياء "يخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله. ويحل عليه روح الرب. فى ذلك اليوم يكون غضن الرب بهاء ومجدا" أش ١١ : ١و٢، ٤ : ٢. وقال أرميا "ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك" (يملك كملك) أر ٢٣ : ٥. وفى تسبحة زكريا أبى المعمدان كان واثقا من ان النبوات القديمة قد تحققت ولعله أراد أن يستعيض عن كلمة "المشرق" بكلمة "الغصن" ويقول "افتقدنا الغصن من العلاء" لو ١ : ٧٨.

يقينا ان سلالة داود كانت قد وصلت الى الحضيض عندما "صعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة لكونهما من بيت داود وعشيرته" لو ٢ : ٤و٥. لم يكن لهما مكان فى نزل القرية، فاضطرت العذراء المباركة أن تقمط ابنها وتضجعه فى مذود، وكانت حالة مريم المالية وحالة يوسف فى شدة الفقر حتى انهما لم يستطيعا أن يقدما سوى فرخى حمام ـ وهى تقدمة الفقير ـ

كذبيحة شكر الأم فى الهيكل. وعلى أى حال فمن هذا الجذع نبت الغصن وصار شجرة كريمة امتدت فروعها الى كل اقصاء الارض، وتعطى ثمارها حياة وبركة لكل البشرية.

ومع أنه غصن الا أن ملء الجذع يحمل للحد الأقصى الى الثمار التى يكمل نضجها فتسقط فى الحال فى أيدى المارة. وهكذا يمكن القول أن يسوع هو القناة المباركة الموصلة بين ملء الله وبين عطشى البشرية. تحت ظله نجلس باغتباط عظيم وثمرته حلوة لحلقنا نش ٢ : ٣.

(٢) اجتماع الوظيفتين الكهنوتية والملكية فى شخص المسيح. "ويكون كاهنا على كرسية". ان طبيعة الانسان تتطلب كاهنا. فأنه حيثما نصب خيمته بنى هيكلا لشعوره بالخطية والدنس، واختار واحدا من رفاقه وأفرزه لخدمة الهيكل وأمره أن يقف كوسيط وكاهن بينه وبين الله. اذا فقد كان خليقا بميخا أن يخاطب الشاب لاوى بيت لحم ويقول له "أقم عندى وكن لى أبا وكاهنا وأنا أعطيك عشرة شواقل فضة فى السنة وحلة ثياب وقوتك" قض ١٧ : ١٠.

ان كانت هنالك حاجة لاقامة الدليل على وحدة الأسرة البشرية لكفى أن نجده فى انتشار الهياكل والمذابح فى كل المسكونة، كأن

البشر متساوون فى هذه الناحية وهى أنهم يعرفون أنهم خطاة وأنهم يريدون ان يجدوا طريقة للتكفير عن خطاياهم والاقتراب من القدير.

لقد حقق الله هذه الرغبة البشرية فى الناموس اللاوى، وفوق الكل فى يسوع المسيح. والواقع أنه لا يمكن أن تسمو وتسود الكل آية ديانة لا تهب الراحة للضمير المثقل بالشعور بالخطية وتعلن عن كاهن رحيم أمين مقام فى ما لله لكى يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا، قادر أن يترفق بالجهال والضالين عب ٥ : ١و٢ .

ويحتاج الانسان أيضا الى ملك. وقد رتب الله أن يوفى هذه الحاجة فى شخصه اذ صار ملك اسرائيل لكى لا يكونوا مثل الأمم الاخرى بل شعبا خاصا لنفسه. لقد كانوا مدفوعين بعوامل طبيعية حينما أتوا الى صموئيل وقالوا له "يكون علينا ملك. فنكون نحن أيضا مثل سائر الشعوب ويقضى لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا" ١ صم ٨ : ١٩ ، ٢٠ . ان الانسان يحتاج الى قائد يوقره ويطيعه ويتلقى منه الأوامر اللازمة ويشبع به غريزة التوقير والتبجيل. لم تكن أياما طيبة تلك التى لم يكن فيها ملك فى اسرائيل وكان كل واحد يعمل ما يصلح فى عينيه، ولم تكن أيام راحة واستقرار.

ومما هو جدير بالملاحظة أن وظيفة المسيح الملكية برزت بكيفية واضحة فى تجربته. كانت هى الهدف الذى عصفت عليه العاصفة. لقد سأله بيلاطس "أفانت اذن ملك" أما يسوع فأكد هذه الحقيقة قائلا "أنت تقول انى ملك". كان الثوب الارجوانى المتدلى من كتفيه، والقصبة فى يده، والجثو على الركب، وأكليل الشوك على جبينه ـ كانت هذه كلها للاستهزاء به كملك. وعندما ثبت جسده الطاهر على الصليب شهدت اللافته التى وضعت فوق الصليب مكتوبة بلغات، والقوة الامبراطوريه، والديانة ـ شهدت بأنه هو ملك اليهود.

ومنذ اللحظة التى فيها رفع فى المجد لا يزال هو الكاهن الملك. ليس هرون هو الرمز الحقيقى الآن لمخلصنا بل ملكى صادق. انه كهرون قد صنع فداء وتكفيرا عن الخطية، كملكى صادق جلس فى يمين عرش الله. "لأن ملكى صادق هذا كان ملك ساليم كاهن الله العلى" عب ٧ : ١.

ان يسوع ككاهن يشفع فينا بدمه،وكملك يعمل بقوة واقتدار من أجلنا. ككاهن يهدئ الضمير الثائر، وكملك ينفث فى أرواحنا من روح الغلبة والانتصار. ككاهن يقربنا الى الله، وكملك يدوس على أعدائنا تحت قدميه. انه لأمر جوهرى لنا جدا أن نعرف عن مخلصنا انه

يجمع بين هاتين الوظيفتين. فمن الناحية الواحدة نحصل على كل بركات الصليب والالام، ومن الناحية الأخرى نحصل على بركات قيامته وجلوسه عن يمين الله. الا يجوز أن ضعف حياتك الروحية يعزى الى هذه الحقيقة وهى أنك لم تنظر اليه الا فى نور الجلجثة، ولم تنظر اليه ـ مع استفانوس ـ جالسا عن يمين العظمة فى الاعالى ملكا ومخلصنا. شكرا لله من أجل الحمل، لكن تهللوا يا أبناء الله لأنه فى وسط العرش. لقد حمل قصاص خطاياكم عندما سفك دمه الثمين، وهو سيخلصك من سلطة الخطية اذا ما سلمت نفسك له كملك ورب. عندما توضع فيه الثقة المطلقة ويطاع طاعة مطلقة فانه يرى نفسه مسئولا مسئولية مطلقة ليتمم الخلاص الكامل للذين يثقون فيه. ان كانت هنالك خطية تتحداك فانها على الأقل لا يمكن أن تثبت أمام قوته. وان كنت تحس بأن قوته المخلصة لم تشملك الى الآن فثق بان ذلك راجع الى نقص فى طاعتك له طاعة تليق به كملك، وهو مستعد أن يعلن لك ذلك ان أردت. انه يجلس ويحكم على عرش الكون، ولذلك فانه سوف يخضع كل ملك وسلطان وقوة. انه يجب أن يجلس ويملك على عرش قلبك وذلك لكى يزيل منه كل ما يعطل مقاصده. لقد "رفعه الله رئيساً ومخلصاً" اع ٥ : ٣١.

يا لعظمة وسمو هذه الكلمات "يجلس ويتسلط (يحكم) على كرسيه ويكون كاهنا على كرسيه". انه يجلس، فلتقف كل الكائنات الأخرى. أنه يجلس بسبب عظمته الذاتيه، بسبب اتمام عمله الفدائى، بسبب ثقته المطلقة من أن أعداءه سوف يخضعون تحت قدميه. كان كهنة الكهنوت الهرونى يقفون (يقومون) كل يوم يخدمون ويقدمون مرارا كثيرة الذبائح عينها التى لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية، "وأما هذا (المسيح) فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الأبد عن يمين الله منتظرا بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئا لقدميه" عب ١٠ : ١١ ـ ١٣.

كم من الويلات قد حلت بالبشرية بسبب تسلط بعض الملوك. ولن يجد العالم راحة أو سلاما الا اذا خضع لملك المسيح واعترف أن مشورة سلامه تنبعث من اتحاد هاتين الوظيفتين فى شخصه المبارك.

(٣) والمسيح يبنى هيكل الله ككاهن ملكى. هذا ما أكده النبى مرتين هنا. ويا للتعزية العظمى التى بعثها هذا التأكيد عندما أعطى لجماعة المسبيين القليلة. كان الخراب مجسما فى موضع الهيكل، وكان يبدو مستحيلا ازالة اكوام الأتربة المتراكمة وبناء هيكل يتفق مع مجد الماضى وخليق بالمستقبل، لكن لابد أن تكون هذه الكلمات قد

بعثت الامل فى نفوسهم. لما أزاحت يد الوحى الستار رأوا شخصية أخرى أعظم من يهوشع ومن زربابل تعمل معهم ومن أجلهم وتتحمل مسئولية كل العمل فى البناء الجديد. لم يكونوا هم العاملين بل هو. كان يجب أن يعملوا بنشاط جديد وشجاعة جديدة عالمين أنهم سوف يكونون عاملين مع الله. وأية صعوبات تقف أمامه اذا تقدم هو للعمل، أى عدو يستطيع أن يعطل العمل؟

أليس هذا وصفا صادقا لما يحصل اليوم ـ كما كان فى القديم ـ نحو بناء هيكله؟ ربما نكون منشغلين فى بناء ذلك البيت الروحى، ذلك الهيكل المقدس، هيكل نفوس المخلصين الذى يرتفع ببطء وسط انقاض الزمن. وفى بعض الأحيان يبدو كأن البناء لن يتم. فالصعوبات تقوم هنا وهنالك، وتكاد المستحيلات تطل برأسها، ويكاد روح الفشل يكسر القلب. أيمكن للعمل ان يتم؟ أيستحق كل هذه النفقة من الدمع والدم؟ أليس الأفضل أن نكف عن العمل؟

بعد ذلك ندرك أن مجهودنا ليس جوهريا، وأن وجودنا فيه ليس ضروريا كما كنا نتصور، وأننا لسنا سوى مجرد عمال، أما هو فهو البناء الأعظم، وهذا ما جعل بولس يقول "نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله. بناء الله" ١ كو ٣ : ٩ .

ان وقعت هذه الكلمات تحت بصر بعض خدام قد دب اليأس فى نفوسهم بسبب الصعوبات الناشئة من ابروشياتهم أو كنائسهم أو من النفوس التى اوكل اليهم أمرها، فلتنتعش نفوسهم ولتتشجع عندما يرون المسطرين فى يد الكاهن الملكى، وليثقوا من أن النجاح مضمون. أنهم لا يعرفون ماذا يفعل هو، او ماذا يسخرهم ليعملوه. لعلهم يعملون أكثر مما يعرفون، وهو المسئول باستخدامهم سواء فى حفر الأساسات أسفل او أعلى البناء. لكن يجب أن لا ييأسوا أو يتركوه لئلا يضطر لاستدعاء اخرين ليكملوا ما بدأوه هم.

القيت تيجان الذهب جانبا الى أن يتم بناء الهيكل. وعندئذ أودعت فيه كتذكار للاشخاص الذين تكون منهم الوفد، ثم أعطى تأكيد بان البعيدين ياتون فيشددوا أيادى البقية القليلة التى عادت من السبى.

ان الهيكل الروحى يرتفع بمرور الاجيال، وهو يشمل اليهود والأمم، العبد والحر، كل ابناء الموعد، وكل الذين كان يظن انهم بعيدون عن دائرة الخلاص. "لذلك أذكروا أنكم أنتم الأمم قبلا فى الجسد... كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد. لا رجاء لكم وبلا اله فى العالم. ولكن الآن فى المسيح يسوع صرتم رعية مع القديسين مبنيين على أساس الرسل والأنبياء

ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. الذى فيه كل البناء مركبا معا ينمو هيكلا مقدسا فى الرب" اف ٢ : ١١ ــ ٢٢ .

* * *

٩

أصوام تتحول الى أعياد

(زكريا ٧و٨)

يبدو أن اليهود كانوا يحفظون أربعة أصوام أثناء سبيهم. فى أربعة أشهر كانوا يكتئبون.

فصوم الشهرالعاشر كان يذكرهم بأول حصار لاورشليم بالمجانق. وصوم الشهر الرابع كان يذكرهم بالاستيلاء على المدينة فى عهد صدقيا (ار ٣٩ : ٢ ، ٥٢ : ٦و٧) وصوم الشهر الخامس كان يذكرهم بالمصيبة التى فاقت الكل وهى أشعال النار فى بيت الرب (ار ٥٢ : ١٢ ـ١٤)، وصوم الشهر السابع كان يذكرهم بقتل جدليا، الأمر الذى ادى الى تشتت البقية الباقية (ار ٤١ : ١ ـ ٣).

وهكذا نرى أ السنة اليهودية كانت مليئة بذكريات أليمة، وكان الظلام يضغط على الحياة الوطنية بصفة مستمرة، لأنه واضح أن حفظ هذه الاصوام كان أمرا الزاميا (زك ٧ : ٤ ـ ٦).

وعند رجوع الشعب من السبى ظل يحافظ على هذه الأصوام. ويبدو أن بعض أهل السبى الذين استقروا فى بيت أيل قد ذهلوا بسبب

هذا الوضع ورأوا أن الاستمرار فى لبس المسح وذر الرماد على رؤوسهم لا يليق بالمرة لأن المدينة المقدسة كانت تنهض بسرعة من التراب وتستعيد الكثير من جمالها السابق. ان الاستمرار فى التظاهر بالحزن زالت بواعثه منذ زمن طويل بل تبدل الى فرح كان يوحى بعدم الصدق بل بالرياء. وان النحيب والاعترفات اللائقة فى بابل لم يكن لها موضع فى أرض آبائهم. لهذا أرسلوا وفدا الى بيت الله لاستشاره الكهنة والأنبياء المجتمعين به قائلين "أأبكى فى الشهر الخامس منفصلا كما فعلت كم من السنين هذه" زك ٧ : ١ ـ٣.

كان سؤالا معقولا، خليقا برجال أفاضل أحسوا بأن البكاء والأصوام لا معنى لها فى ذاتها وغير مرضية لله الا اذ كانت هى العلامة الظاهرة المعبرة عن عواطف النفس الحقيقية. كان سخيفا حقا الاحتفاظ بذكريات عفا عليها الدهر وخدمة بالية كانت تعبر يوما ما عن الحزن العميق والتوبة. انه لأمر جوهرى جدا أن نكون صادقين فى حياتنا الدينية، أن لا نتظاهر بما لا نحس به. لا نحتفظ بالمظهر من أجل المظهر. لا شئ يقتل النفس بقدر العبادة الشكلية.

ويبدو أن زكريا أجاب على هذا السؤال بأربع اجابات مختلفة. لقد صار اليه "كلام رب الجنود" أربع مرات.

الاجابة الاولى (ص ٧ : ٤ ـ ٧). وفيها يذكر الشعب أنهم هم الذين حددوا هذه الاصوام. ومن ذلك يستنتج أنهم كما حددوها فلهم كل الحرية أن يبطلوها متى أرادوا. ويستنتج استنتاج آخر هو انه خير للشعب أن يتأملوا فى كلمات الأنبياء السالفين بدلا من تلك الاصوام التى حددت لمناسبات شعبية "أليس هذا هو الكلام (١) الذى نادى به الرب عن يد الانبياء الاولين حين كانت أورشليم معمورة ومستريحة" انه أيسر ان تقام أصوام وتمارس الشعائر الخارجية من أن يخضع القلب أمام الله وتطاع الأوامر التى أمر بها.

الاجابة الثانية (ص ٧ : ٨ ـ ١٤). وفيها يقول النبى انهم سواء حفظوا الصوم أو لم يحفظوه فيجب عليهم على الاقل أن يظهروا روح الديانة الحقيقية العظيمة الأهمية "أقضوا قضاء الحق واعملوا أحسانا ورحمة كل انسان مع اخيه. ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير. ولا يفكر أحد منكم شرا على اخيه فى قلبكم". هكذا خاطب الله آباؤهم من قبل، وهكذا يخاطبهم هم الآن، لقد أبى آباؤهم أن يصغوا بل جعلوا قلبهم ماسا. فكان كما نادى هو فلم يسمعوا كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود". وبددهم كما بعاصفة

---

(١) أو "ألا تسمعون الكلام.. الخ" حسب الترجمة الانكليزية.

وخربت أرضهم. وهكذا توسل زكريا الى الشعب فى عصره أن لا يستسلموا الى فتور آبائهم وعنادهم لكى ينجوا من المصير الذى حل بآبائهم ولكى لا تحل بهم مصيبة تعطل نهضة أمتهم أو تعيدهم الى النكبات التى سبق أن افتقدوا بها.

الاجابة الثالثة (ص ٨: ١ ـ ١٧)وفيها يسهب زكريا فى وصف النجاح العظيم الذى كان ينتظر المدينة المختارة. قد رجع الرب الى صهيون لكى يؤسس أورشليم مدينة الحق، وصهيون جبله المقدس. سوف تمتلئ أسواق (١) أورشليم بالشيوخ والشيخات، كل انسان منهم عصاه بيده من كثرة الايام (أى بسبب تقدمه فى السن). أما ضحك الصبيان والبنات العالى الصوت فأنه يعلن تقدم المدينة وطمأنينتها. سوف تعود أفواج المسبيين من الشرق ومن الغرب لكى يجددوا الخرب القديمة. "أما الآن فلا أكون أنا لبقية هذا الشعب كما فى الأيام الاولى يقول رب الجنود. بل زرع السلام. الكرم يعطى ثمره والأرض تعطى غلتها والسموات تعطى نداها وأملك بقية الشعب هذه كلها".

---

(١)أو "شوارع" حسب الترجمة الانكليزية، أو "ساحات" حسب ترجمة اليسوعيين.

ويتبع هذه المواعيد الجميلة نداءات طالما تكررت، هى أن كل أنسان يجب أن يكلم قريبة بالحق، وأن يقضوا بالحق وقضاء السلام فى أبوابهم، وأن يتجنبوا كل ما يكرهه الله. وكأن هذه الرؤى الذهبية عن بركة المدينة وتقدمها قد ذكرت لاقناع الشعب المختار بأن الله لم يشأ أن يذكر خطاياهم فيما بعد، ولكى يحثهم على أن ينعموا بموجات النور والمحبة التى كانت تزحف اليهم بدلا من التفكير فى الماضى الأليم.

لا تزال هذه هى طريقة الله. ان دنسنا اسمه ونجسنا هيكله، ان دخلنا فى مخالفات شريرة وسرنا وراء آلهة غريبة، ان دنسنا أيادينا بأباطيل العالم، أبعدنا فى السبى كاسرائيل وكملت سنو السبى. لكن ان انتفعنا بتأديبه الشديد ورجعنا اليه بكل القلب والنفس أعادنا الى مركزنا الاول، ومسح كل دمعة من عيوننا، وأمرنا بأن نقبل الرحمة الكريمة التى لا تذكر خطايانا فيما بعد.

ان هذه التصرفات مع أولاده المتمردين الأثمة عجيبة جدا وتفوق كل تفكير بشرى. ان غفر لنا خطايانا اعتبر هذا رحمة عظيمة، لكن أن يغفر غفرانا كاملا مطلقا حسب غنى نعمته، فهذا هو العجب كل العجب. على أنه لا مجال لأى تعجب فى تصرفاته. فمثل هذه النعمة لا تكلف طبيعته المجيدة أى جهد. وهو لا يشعر بأى اجهاد. لأنها هى

مجرد نبضات قلبه التى هى محبته. "هكذا قال رب الجنود أن يكن ذلك عجيبا فى أعين بقية هذا الشعب فى هذه الأيام أفيكون أيضا عجيبا فى عينى يقول رب الجنود" "كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وافكارى عن أفكاركم" اش ٥٥ : ٩.

الاجابة الأخيرة (ص ٨ : ١٨ ـ ٢٣). وفيها يقدم زكريا نبوة مبهجة عن المستقبل المجيد، التى لا تزال تنتظر التحقق الكامل لكنها تحققت جزئيا وقتئذاك. "وكان الى كلام رب الجنود قائلا. هكذا قال رب الجنود. ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجا وفرحا وأعياد طيبة، فأحبوا الحق والسلام" ع ١٨و ١٩.

هذا تبدل عظيم. أننا لا نعجب عندما ندرك بأن الله قد مسح كل ذكريات الماضى لدرجة أن تلك التذكارات المشئومة كانت تمر دون أن يحفل بها أحد. ان ذاكرتنا لا تحتفظ لمدة طويلة بالذكريات الاليمة التى سرعان ما تمحى من الذاكرة. ونحن سرعان ما نتناسى مالا نريد أن نبقى عليه، ونطرحه فى بحر النسيان، ذلك البحر الذى لا يتعجل فى اظهار ما طواه. لكن الامر العجيب هنا هو أن هذه التذكارات التى كانت تحمل معها كل مرة أمر الذكريات الأليمة أصبحت الآن

يرحب بها كأعياد طيبة، كأن الاحداث التى تمت فيها وكانت تبدو قاتمة كانت فى الواقع مليئة بالبركات، وأنما أسئ فهمها. هذا يذكرنا بالخطوط القاتمة فى طيف النور التى تمثل محتويات نور الشمس البهيج. هل يأسف الفلكى حينما يدرك سموها؟ كلا بل يحسبها ثمينة جدا جدا..

عندما نتساءل كيف يمكن أن يحدث مثل هذا النفور، نستطيع أن نكون فكرة أخرى عن افكار الله. انه يؤكد لشعبه فى الواقع بأنهم عندما يستطيعون أن يتأملوا فى المستقبل فى تصرفاته بالنظرة الحقيقية فانهم يكتشفون ان أحلك أيامهم كانت هى مصدر أسعد أيامهم، لأنها مكنتهم من أن يعرفوا أنفسهم وابعدتهم عن خطاياهم، وخلقت فيهم تلك الفضائل التى جعلت العالم يوقرهم ويحبهم.

تأمل أيضا فى هذه النبوات المجيدة "ويكون كما أنكم كنتم لعنة بين الامم يا بيت يهوذا ويا بيت اسرائيل كذلك أخلصكم فتكونون بركة" وأيضا "هكذا قال رب الجنود سيأتى شعوب بعد وسكان مدن كثيرة. وسكان واحدة يسيرون الى أخرى قائلين لنذهب ذهابا انترضى وجه الرب ونطلب رب الجنود". وايضا "هكذا قال رب الجنود. فى تلك الأيام يمسك عشرة رجال من جميع ألسنة الأمم يتمسكون بذيل رجل

يهـودى قـائلين نـــذهب معـكم لاننـــا سمــعنا ان اللـه معكم"
(ع ١٣و ٢٠و ٢٣).

لقد تمت هذه النبوات فعلا بكيفية عجيبة. فى وسط ظلمات العبادة الوثنية عندما استسلمت أقوى الامم وأحكمها لأحط انواع العبادة الوثنية ورجاساتها كانت مجامع اليهود المشتتين فيها تضيء كاشعة من نور وتبرز التعاليم السامية عن وحدة وروحانية الطبيعة الالهية وعن الحاجة الى الغفران، وعن ضرورة قداسة الحياة العائلية، فى كل مدينة وثنية كبيرة كان المجمع ينضم اليه الكثيرون من أبرز العائلات الوثنية. ومن الأمة اليهودية أتى مخلص البشرية وقادة الكنيسة الاولون.

ونحن مدينون لليهود لا بالعهد القديم فحسب بل بالعهد الجديد أيضا. ففى أورشليم، فى أحد أعياد اليهود، حل الروح القدس ليبدأ عمله العظيم. وفى كل العصور المسيحية كانت كل أمم العالم اذا ما اضطهدت الشعب المختار تظل متمسكة بتعاليمهم، تذهب معهم الى معابدهم، تقتبس عنهم آراءهم عن الله، تنتفع بكتبهم المقدسة، تحترم مشرعيهم وأنبياءهم وقديسيهم احتراما لا يقل عن احترام رجالها.

وسوف يأتى الوقت أيضا ـ ولعله ليس ببعيد ـ حينما يقبل اليهود المسيح، وينظرون اليه بروح التوبة والايمان والمحبة، وعندئذ تستمر أمم

العالم فى طلبهم كممثلين ومعلمين للديانة الحقيقية الوحيدة. لقد تنبئ عن هذه الأيام بوضوح، وتعزى الآيات الكثيرة ايماننا بأنها سوف تكون كما تنبأ الأنبياء. سيما هذا النبى.

لكننا لن ننسى أبدا أن هذا الاحترام العظيم الذى يكنه العالم لشعب اليهود قد بدأ منذ السبى البابلى. أما قبل هذا فقد كانوا فاترين جدا فى ولائهم لله، مستغرقين فى أرجاس الشعوب المحيطة بهم، حتى أنهم ان كانوا يدافعون عن ديانتهم فلم يكونوا يلقون آذانا صاغية أو نفوسنا تصدقهم. أى احترام كان ممكنا أن يظهره العالم من نحوهم ان كانت الجبال المحيطة بصهيون تغشاها هياكل الآلهة الغريبة، وأن كان نفس الشعائر الدنسة التى تقدم لكموش ومولك وعشتروت لا تزال تمارس بينهم؟ لم تكن جميع مياه اسرائيل أفضل من نهرى أبانه وفرفر (٢مل ٥ : ١٢) فى عرف الأراميين، وكان ينظر الى بلعام بأنه كموسى، وزوروواستر (١) كأيليا.

لكن السبى غير كل شئ. لقد دخلوه متشربين بعبادة آلهة كثيرة وخرجوا منه لا يعبدون الا الإله الواحد. كانت أحزانهم وآلامهم فرصة

(١) أحد آلهة الوثنيين.

لكتابة بعض أسفار الكتاب المقدس التى تعتبر من أعمقها، وفرصة لزيادة التمسك بكتابهم المقدس. واذ نبذوا من البشر هرعوا الى الأحضان الالهية. واذ حرموا من طقوس الهيكل الخارجية تمسكوا بالحقائق الروحية التى كانت ترمز اليها الطقوس اللاوية. أن اسرائيل مدينون بالنفوذ الذى كان لهم فى العالم للنكبات التى حلت بهم والتى بلغت منهاها بحرق الهيكل، ولو أحسنوا لاحتفظوا بتلك الذكريات القديمة الأليمة كنقطة تحول وبعث لقوتهم. الى شهر مارس قد يذكر الفلاح بالأسف تلك الايام التى أفرغ فيها مخازنه من محتوياتها النفسية لكى يلقى البذار فى الأرض. لكن عند ما يحل شهر أبريل ويتطلع فيرى الأرض وقد اكتست بحلة سندسية فأنه يذكر أيام الشتاء القاسية البرودة، الشديدة الظلام بالسرور ويؤرخ منها أيام المحصول المجيد.

تدفعنا هذه التأملات التاريخية الى أن ندرك ناموسا أزليا عبر عنه الروح القدس فى مكان آخر بهذه الكلمات: ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيرا فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام" عب ١٢ : ١١.

ليس فينا من لم ير أياما مظلمة كئيبة، أياما رفض فيها الله بعض طلبات ضرورية جدا، أو أياما تلقينا فيها أعلانا كئيبا مروعا عن حياتنا أو حياة شخص أعز الينا من أنفسنا، أياما انهارت فيها ثقتنا فى شخص ما. لقد وضعنا علامة سوداء تحت هذه الأيام فى مفكراتنا، ويخيل الينا أنه كلما تكررت أيام هذه التذكارات فى السنوات القادمة اشتد بنا الألم. هذا أمر طبيعى، والله لا يلومنا من أجل الدموع التى هى كالملح بازاء روح التمرد والتذمر. أنه لأمر طبيعى وبشرى عندما نجلس بجانب صخرة شامخة تلاطمها الامواج بشدة فنتحسر على الايام الهادئة السالفة ونقتبس من كلمات أيوب الرائعة التى ناجى بها نفسه هذه الكلمات (أى ٣ : ٤).

ليكن ذلك اليوم ظلاما

لا يعتن به الله من فوق

ولا يشرق عليه نهار (نور)

ليملكه الظلام وظل الموت

لكن هذا لن يكون حكمنا النهائى. فالأرجح أننا عند غروب حياتنا البهيج، وعندما نستطيع أن نرى معناها الحقيقى ووضعها الحقيقى، ونرى أن أجزاءها المختلفة متناسقة مع بعضها تمام التناسق فاننا نقدم

الشكر لله من أجل أظلم الأيام ـ طالما لم تكن أيام خطية ـ ونحتفظ بها كأعياد فى نور السماء الأبدى. سوف ندرك أن النور قد خلق من الظلمة، وأن الفرح قد خلق من الحزن، وأننا من التجربة قد دخلنا سلام الله المبارك.

ان ذلك اليوم الذى رفض فيه الله استجابة رغباتك الملحة كان هو اليوم الذى فطمت فيه عن حياة الطفولة لتبدأ عهد الرجولة، عهد القوة والنمو. هذا اليوم الذى حلت فيه سحابة قاتمة فوق آمالك كان هو بداية تقديرك الجديد للمجد الأبدى الذى يلمع فى كبد سمائك دون أن تدرى. هذا اليوم الذى انتزع فيه (يوسفك) منك كان ضروريا للسبعة عشر عاما التى تقضيها فى راحة فى مصر الغنية. هذا اليوم، يوم الأسر، الذى انتزعت فيه من عملك المتواصل لتشارك بولس أربع سنوات فى السجن فى قيصرية وروما فتح عينيك لترى طبيعة المسيح بكيفية أوضح، وتعرفه فى مجده السماوى جالسا عن يمين الله فكانت هذه الاعلانات الجديدة باعثة لا على تعزية قلبك الكسير فحسب بل غنى للعالم.

تيقن اذا من هذه الحقائق، تطلع من بعد الى بركات الدموع، عش فى نور اليوم الذى سوف يحل بعد غد. قال دانتى "أن سلامنا هو

فى ارادة الله". انــه يحبـنا محبـة غـير محدودة. لا يمنع عنا شيئـا من الخير (مز ٨٤ : ١١) انه يجعل دموعنا أساسا يبنى عليه ثقل مجدنا الأبدى.

هذا ما فعله، أفلا نعبده

هذا ما سيفعله، أفنستمر فى يأسنا

تعال لنهرع اليه

ملقين كل همنا عند قدميه

* * *

١٠

انباء طيبة لأسرى الرجاء

(زكريا ٩)

فى الاصحاحات التالية من هذا السفر نلاحظ تغييرا فى عباراته، فاننا لا نعود نقرأ عن "كلام الرب" بل عن "وحى (١) كلام الرب". وبهذا التعبير يمهد النبي الطريق لأنباء أليمة ونكبات على وشك أن تحل بالام التى خاطبها. كانت هذه الاثقال جاثمة على نفس النبى الذى كان على الارجح قد تقدم فى الايام عندما أعلنها. انه يوجد على الاقل اختلاف ملحوظ بين رؤى الاصحاحات الاولى ونبوات الاصحاحات الأخيرة. وقد دفع هذا الاختلاف بعض النقاد الى الظن بأن هذه الاخيرة قد أضافها شخص آخر، لكن هذا الرأى المبنى على الأدلة الداخلية لا يمكن أن يثبت أمام الشهادة الخارجية القوية التى تشهد بأن مؤلف هذا السفر شخص واحد.

عندما كتب زكريا هذه النبوة كانت المتاعب الاولى التى واجهت بقية جماعة السبى العائدين الى بلادهم بصدد بناء الهيكل والمدينة

---

(١) أو "وقر" حسب ترجمة اليسوعيين، أو "ثقل" حسب الترجمة الانكليزية.

والحكومة على وشك الانتهاء. لكنهم كانوا محاطين بمدينة صور من الشمال واشقلون وغزة وعقرون من الجنوب، وهذه كلها كانت تضغط عليهم ضغطا شديداً. ولهذا فانه لتشجيعهم تنبأ بغزو قادم تكتسح أمامه هذه المدن القوية المجاورة المعادية. ان تكن صور قد بنت حصنا لنفسها على جزيرة حصينة، وكومت الفضة كالتراب والذهب كطين الاسواق، وان كان مشيروها قد اشتهروا بالحكمة، فأن السيد يمتلكها ويضرب فى البحر قوتها، ويلاشي قصورها بالنار. أما الخراب الذى يحل بدمشق وحدراخ (جزء من سوريا) فأنه يمتد جنوبا الى أن تتحقق مخاوف غزة واشقلون وعقرون بخرابها التام. وتصير فلسطين كأسد حرم من فريسته، أما المدينة المختارة فتحصنها قوات ملائكية غير منظورة. "واحل حول بيتى بسبب الجيش الذاهب والآئب فلا يعبر عليهم بعد جابى الجزية. فأنى الآن رأيت بعينى".

تمت كل هذه النبوات حرفيا بعد سنوات قليلة عند الغزو الذى قام به ثالث الغزاة العالميين الاقوياء، أى اسكندر الاكبر. فقد سقطت فى يده سوريا وصور الجديدة وشاطئ البحر بما فى ذلك مدن فلسطين، لكنه فى كل الذهاب والعودة عفا عن أورشليم اذ كان متأثرا بحلم حذر فيه من أن يقرب من المدينة، ومتأثرا بموكب عظيم من الكهنة واللاويين يرأسه يادوا رئيس الكهنة.

بعد هذا انسابت من فم النبى نبوة جميلة عذبة تمت كما قال لنا الانجيلى عندما دخل يسوع أورشليم فى موكب متواضع فى بدء الأسبوع الذى مات فيه. "فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل. قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان" مت ٢١ : ٤. يا لسمو التعبير فى كلمات النبى التى يضع فيها تشديدا خاصا على هذه الحقيقة وهى أن الملك الذى يخلص وديع ومتواضع، وأن مطيته ليست حصانا مطهما قويا بل حمار بسيط، وأنه ليس فى حاجة الى مركبة أو قوس الحرب ليبطش بعدوه، بل يتكلم بالسلام للأمم، كأنه يردد يديه بالبركة الكهنوتية على المياه المضطربة، فيصير هدوء عظيم ع ٩، ١٠.

ثم يأتى الوعد العظيم الذى أشير اليه فى عنوان هذا الفصل "وأنت أيضا فأنى بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجب الذى ليس فيه ماء. ارجعوا الى الحصن يا أسرى الرجاء. اليوم أيضا أصرح انى أرد عليك ضعفين" ع ١١، ١٢.

جرت العادة فى البلاد الشرقية، المعرضة لفقرات طويلة من الجفاف، ان تنحت فى الصخر آبار لتخزين المياه للاحتياط اذا انعدم المطر، هذه توجد بكثرة فى فلسطين. "حفروا (نحتوا) لأنفسهم آبارا".

عندما تكون هذه خالية من الماء يمكن أن تستعمل لأغراض أخرى. يمكن استخدامها فى كل الاوقات كمخابئ من الفلسطنيين أو غيرهم من الاعداء المجاورين الذين كانوا ينقضون بصفة مستمرة على القرى الوديعة الزراعية الكثيرة المراعى حاملين النار والسيف. وقد أشير فى هذه الكلمات الى هذا النوع من استخدام هذه الآبار المنحوتة فى الصخر. كان يبدو للنبى كأن اسرائيل يشبه فلاحين منزعجين مختبئين فى جب جبلى مظلم ليس به ماء، بعيد عن الأدوية، يخشون كل يوم لئلا يكتشف مكمنهم ويجبروا فيخضبوا الأرض الخضراء بدمائهم.

هكذا سجن الشعب الله فى كل العصور: لعلك قد وقعت يوما ما فى فخ شرور هذا العالم. انك لم تكن تميل الى الشر، لكنك وقعت فى فخاخ وأعمال بعض الرفاق الأشرار. وكما يسير الحيوان البرى بغير احتراس فى الغابة فيجد نفسه فى أسفل نقرة مظلمة أعدها الصياد واخفاها. هكذا الحال معك فانك بدأت الحياة بطهارة وبرارة وقضيت أيامك الأولى فى سعادة وحبور، لكنك استيقظت فوجدت نفسك وسط جماعة لا تستطيع الافلات من براثنهم ووسط شرور لا تستطيع التخلص منها. انك لا ترغب فى عشرتهم، وهم يزعجونك بعشرتهم، لكنك لا تستطيع التخلص منهم. ويبدو كأن روحا شريرا قد طرق عنقك بحبل خانق، لا حول روحك، بل فى بيتك وفى ظروفك.

أو لعلك قد أصبحت أسير الشيطان. لا شك فى بنويتك لله فى أفضل ساعاتك يشهد روح الله بصراحة مع روحك انك متجدد، وأنت تحس لخلاص الأخرين، وفى بعض الاحيان تعمل جاهدا لايقاظهم وتعزيتهم. ومع ذلك يبدو فى بعض الأوقات الاسيفة كأنك مستعبد لعدو النفوس، أسير للشهوة، ويبدو كأنه من المستحيل ان تتقدم فى الحياة الروحية، بل كأنك ريشة فى مهب رياح الخطية.

أو لعلك قد استولى عليك روح اليأس القاتل نتيجة لبعض الأمراض، أو لانك حولت نظرك عن المسيح الى الرياح والامواج. لم تعد تبصر اشراق محبته، وأصبحت تمر عليك أوقات لا تصدق شيئا سوى تفكيرك المظلم. يبدو ان بعض أولاد الله يختارون وادى ظل الموت كمكان لسكناهم، وبعد ذلك يستخدمون الشكوك والمخاوف واليأس لتصميم وبناء البيت الذى يشبه السجن. انهم يجنحون الى الناحية المظلمة وروح اليأس، والغريب جدا أنهم يستريحون لروح السويداء.

هؤلاء كلهم أسرى، لكنهم أسرى الرجاء: هنالك رجاء أكيد فى خلاصهم. انهم سوف يخرجون من سجونهم يقينا كبطرس الذى أخرجه الملاك من سجنه. انه أيسر للسحب أن تنجح فى حبس الشمس

من أن تنجح هذه الظروف الحالكة فى أن تستولى بصفة دائمة على أبناء الله. انهم أبناء نور وأبناء نهار، ومع انهم لا يبصرون "الرجاء" الا أنه واقف بجانبهم كملاك الله منتظرا اشارة منه لكى يفتح أبواب السجن. ان السجين الذى صدر عليه الحكم بالاعدام وليس له اصدقاء حكماء للتوسط فى امره يحق له ان يفقد الرجاء اذ يجوز بين جدران القلعة الحصينة ويسمع الأبواب الضخمة تغلق وراءه الواحد بعد الآخر. ولكن عندما يكون العدل والحق بجانبه. عندما يكون ضحية الغدر والخيانة، عندما تكون هناك زوجة حكيمة وأصدقاء أقوياء للدفاع عن قضيته حتى ولو كان الحبس محكما، ومقيدا بالسلاسل فى جزيرة الشيطان، وانقضت عليه السنون المملة، فانه لا يزال أسير الرجاء، وسوف يخرج ثانية فى نور النهار. ان جميع أبناء الله أسرى الرجاء.

ورجاؤهم يتوقف على دم العهد: "فانى بدم عهدك (من أجل دم عهدك) قد أطلقت أسراك من الجب". عند ما قطع الله عهداً مع ابراهيم تأيدت المعاهدة بدم عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبش ثلاثى ويمامة وحمامة (تك ١٥ : ٩) وبعد عدة سنوات عندما وقف موسى على جبل سينا ليتوسط بين الله وبين بنى اسرائيل أرسل بعض الفتيان (لأنه لم يكن قد تأسس الكهنوت بعد) فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسى جزءا من الدم

ووضعه فى الطسوس ورش جزءا آخر على المذبح وجزءا ثالثا على الشعب قائلا "هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الاقوال" خر ٢٤ : ٥ ـ ٨.

وهكذا الحال أيضا مع العهد الجديد الذى فصلت بنوده فى عب ٨، فانه تأيد بدم يسوع. عندما أخذ الكأس قال هذا "هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" مت ٢٦ : ٢٨ "ولاجل هذا هو وسيط عهد جديد" عب ٩ : ١٥. ان سفك دم حمل الله يشير الى ان الله قطع عهداً معه ومع كل من ينوب عنهم الذين هم بالايمان أعضاء جسده أى الكنيسة. انه من جانبه يعد بأن يكون لنا الها وبأن يتخذنا شعبا له. ومن جانبنا نحن يعد المسيح نيابة عنا بأن نكون له "شعبا خاصا غيورا فى أعمال صالحة حسنة" تى ٢ : ١٤. هذا العهد يشمل كل الذين آمنوا، كل الذين يؤمنون، كل الذين سوف يؤمنون فى يسوع. انه يشملك ان كنت فقط فى هذه اللحظة تؤمن به ملكا لك وان كنت تريد أن تكون ملكا له الى الأبد، عندما تناول من دمه الكريم فى العشاء الربانى فانك بكيفية منظورة تشهد هذه الشهادة الخطيرة انه قد أصبحت هنالك علاقة بينك وبين الله، لا بفضل استحقاقك بل من أجل ابنه، ذلك الراعى الاعظم الذى أقيم من الاموات بدم العهد الابدى. عب ١٣ : ٢١.

ان الله يخرج من الجب كل واحد من أسراه من أجل دم العهد: أنه يتدخل نيابة عنهم من أجل ذلك الدم. لابد ان يخلصهم الله مهما كانوا فى أى مكان ومهما كانت جدران سجونهم سميكة. ولقد أيد كلمته بقسم لكى تكون لهم تعزية قوية. عب ٦ : ١٦ ـ ١٨ . انه سوف يطاطئ السموات وينزل، يركب على كروب ويطير. مز ١٨ : ٩ و ١١ . سوف يخلص هو يقينا من كل حبائل الشر مهما تشابكت.

هب ان شخصين ارتبطا معا بأوثق العلاقات الودية دون حاجة الى تبادل الدم من عروقهما كما هى العادة عند البعض، لان قلبيهما قد تبادلا أعمق وسائل المحبة. وهب ان أحدهما قد سافر الى بلاد خطرة فسقط فى أيدى اللصوص الذين حملوه الى أحد الجبال النائية وهدد بالموت ان لم تدفع عنه فدية مالية كبيرة. هل تتصور ان يبقى صديقه ينعم فى بيته بالحرية ويعيش مترفها تاركا صديقه ليلقى مصيره التعس دون أن يبذل أى مجهود لانقاذه؟ هذا ما لا يمكن أن يتصوره العقل. انه لابد من ان يبذل كل جهد ممكن وغير ممكن، لا يترك حجرا على حجر. ولابد أن الاسير نفسه يكون واثقا من أن صديقه سوف يبذل كل جهد لانقاذه. هكذا الحال مع الله فانه من أجل ارتباطه بالعهد المقدس

الذى ختم بدم يسوع، لا يألوا جهدا حتى ينقذ نفوسنا مثل العصفور من فخ الصيادين، وحتى ينكسر الفخ ونحن نفلت مز ١٢٤ : ٧ مهما كانت النكبات التى قد حلت بنا.

هنالك مثل لهذه الحقيقة فى رواية غزو أرض كنعان. فأن أهل جبعون خدعوا اسرائيل وقطعوا معهم عهدا. وبعد ثلاثة أيام افتضح كذبهم. لكن الرؤساء قالوا "اننا قد حلفنا لهم بالرب اله اسرائيل والآن لا نتمكن من مسهم" يش ٩ : ١٩ . وعندما حاصر الملوك المجاورون المدينة لمجرد الانتقام منها والتجأت الى بنى اسرائيل لطلب المعونة أسعفت فى الحال من أجل العهد الذى قطعوه معها. وهكذا الحال معكم يا جميع أولاد الله. ان كنتم قد جعلتم يسوع ملكا لكم فثقوا أنه سوف يسعفكم فى الحال. هوذا ملكم يأتى اليكم يا أسرى الرجاء، هو عادل ومنصور، ولذلك فان عنده الخلاص.

أليس هذا هو السبب الذى من أجله لم يخلص البعض منا؟ اننا نتمنى من كل قلوبنا أن نحصل على الخلاص لكننا لسنا مستعدين لدفع النفقة. لم نلاحظ الترتيب الالهى ولم نتوج يسوع ملكا على قلوبنا وحياتنا. اننا نريده أن يكون مخلصنا لكننا لسنا مستعدين أن نقبله ملكا، هذه هى غلطتنا. لقد رفعه الله رئيسا ومخلصا. هو ملك البر قبل

أن يكون كاهنا على رتبة ملكى صادق. وعندما نعترف بافواهنا بيسوع ربا فاننا عندئذ نخلص.

لكن لا تخف منه. فان موطئ قدميه لين. انه وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان، لا على حصان مطهم يتبختر، لا أعلام ترفرف، ولا حاشية قوية من المحاربين. انه ناعم كهبات نسيم الصيف، قوى كأشعة شمس الصيف، أمامه تتحطم كل القوى. أنه وديع كولد صغير. وقبل أن يأتى تتحطم المتاريس الحديدية كأنها ثلوج تذوب نقطة فنقطة وقت الربيع فتطلق عقال السفينة المحتجزة.

ان الملك يتكلم بالسلام، لكنه يستخدم الذين حررهم كأسلحة فى الحرب العظيمة. "لأنى أوترت (أو ثنيت أو أحنيت) يهوذا لنفسى" (كما يحنى الانسان القوس) وملأت القوس أفرايم" كما يملأ بالسهام. هذا يشير بصفة مبدئية لحرب المكابيين ضد خليفة الاسكندر - انطيوخس، كما يبدو من الكلمات التالية: "وانهضت (١) أبناءك يا صهيون على بنيك (٢) يا ياوان وجعلتك كسيف جبار"، لكن هنالك معنى أعمق ينطبق علينا أجمعين هو أن يسوع يخلصنا أولا وبعد ذلك نصبح كسهام فى يد جبار.

---

(١) وسأنهض

(٢) "اليونان" حسب الترجمة الانكليزية

ارفعوا رؤوسكم يا أسرى الرجاء، ان خلاصكم خارج من صهيون. ارجعوا الى الحصن. لقد طرد العدو وأبعد عن موضعه. لم يعد هنالك خوف من هجومه. اتخذوا موضعكم فى حصن عناية الله ومحبته، فى قلعة البر، فى حفظ عهده.

وقبل أن نقلب صفحة هذا الاصحاح لا يمكن الا أن نشعر بأنه يتضمن أعماقا لم يسبر غورها بعد، ولا تزال تنتظر التحقيق. عندما تحدثنا الأعداد الاخيرة عما سيفعله الله لشعبه من أنه "يرى فوقهم" "يحامى عنهم" و "يخلصهم كحجارة التاج مرفوعة على أرضه"، عندما نتأمل فى عظمة جوده وجماله المنعكسة على شعب اختياره ــ لا يمكن الا أن نشعر بأن الأيام قادمة التى فيها يتدخل بانتصار عظيم من أجلهم، والتى فيها يمتد ملكه فعلا من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصى الارض. ان صح هذا التفسير كان هذا الاصحاح مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمناظر المفصلة فى الاصحاحات الاخيرة من السفر، والتى لا تزال تنتظر ازاحة الستار عنها، الذى كثيرا ما يبدو انه قد بدأ يتحرك استعدادا للحوادث التى وراءه.

* * *

١١

زرع الله

(زكريا ١٠)

للعين المجردة يبدو أنه لا توجد مسافة شاسعة بين أرضنا وسائر الكواكب الثابتة، لكن الواقع هو أن المسافة بين الواحد والآخر تقدر بملايين الأميال. وهكذا الحال مع هذه النبوات. فالنبى يبحث أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيه ١بط ١ : ١١. أنه يصف الحقائق العظيمة التى أعلنت له لكنه لم يعط له أن يعلن الأزمنة والاوقات التى جعلها الاب فى سلطانه. لقد رأى سلسلة الجبال الشامخة، لكنه قد ترك لنا أن نكشف ذلك الوادى العميق الطويل جدا الممتد من الجبل البعيد الى الجبل القريب، بين مجئ المسيح الاول ومجيئة الثانى. لذلك فسنرى النبى يمر من جبل الى آخر ويصف فى روايته بعض الاحداث المتعلقة بعصور مختلفة فى تاريخ العالم. كانت هذه الطريقة ضرورية طالما كانت النبوة حافزة على الايمان والصبر.

وقد رأينا مثلا لهذا فى الاصحاح السابق الذى فيه ذكر معا مجئ المسيح راكبا على مطية متواضعة، وحرب المكابيين، وخلاص اسرائيل فى السنوات الأخيرة للعهد الحاضر، عهد النعمة. ذكرت كل هذه معا

كـــأنها تنتمى الى عصر واحد. ولا غرابة فى مثل هذا الترتيب ان كـــان ربنـــا قد ذكـــر كـــل العـصر المسيحى فى عبارة واحدة (قارن اشعياء ٦١ : ٢ بلوقا ٤ : ١٩).

لما نقارن هذا الاصحاح بالاصحاح التالى نجد حقيقة واحدة. لقد أمرنا النبى فى الأية الاولى أن نطلب المطر المتأخر، أى يوم الخمسين الذى يختتم به العهد الحاضر والذى قال عنه بطرس انه "أوقات الفرج من وجه الرب" اع ٣ : ١٩. هذه تأتى ـ كما يقول ـ عندما يتوب شعب اليهود ويرجعون ثانية الى الله، وهى التى تفتتح "أزمنة رد كل شئ التى تكلم عنهـــا الله بفـم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر" اع ٣ : ٢١. ويمكن تفسير باقى الاصحاح على أساس أنه يشير الى نفس الحوادث. أما الاصحاح التالى فانه يشير الى هدم الهيكل الثانى على يدى تيطس ورفض الراعى الحقيقى. وفى الاصحاح الثالث عشر نرى انتقالا سريعا مشابها من التطهير الأخير للشعب المختار الى استيقاظ السيف على الراعى الذى هو رجل رفقة رب الجنود. والأرجح أنه لم يظهر الى الآن تفسير شاف لاقوال الرب الأخيرة عن سقوط أورشليم الذى لا يتمشى مع نفس القاعدة. انه ينتقل من ختام أحد العصور الى الأخر، ويصف كلا الختامين فى عبارة واحدة، كما أنه

عندما تحدث عن اتمام أزمنة الأمم كشف أمامنا عن تلك الحقبة الطويلة التى كان ينبغى أن تتوسط.

ان وضعنا هذه الآراء نصب أعيننا لما وجدنا صعوبة فى أن نستقى من هذه الاصحاحات الكثير من المعونة والتعاليم. وفى الأيام الأخيرة لعهد النعمة الحالى سوف نتمكن من تحديد هذه الفقرات المختلفة، كل فى مكانها على خريطة عناية الله.

وبعد الأمر الذى صدر الينا بطلب المطر المتاخر والمقترن بوعده الإلهى باستجابة كريمة، نجد وصفا واضحا لما يعمله الله مع شعبه. وهذا الوصف قد تحقق جزئيا فى موقف يهوذا المكابى وأخوته الموفق أمام أنطيوخس "لان رب الجنود قد تعهد قطيعة بيت يهوذا وجعلهم كفرس جلاله فى القتال. منه الزاوية. منه الوتد. منه قوس القتال. منه يخرج كل ظالم جميعا". أما الوصف التالى عن نجاحهم ضد أعدائهم، وانهم سوف يدوسونهم في القتال كطين الاسواق، فقد تم بأكمله فى تلك الحقبة المجيدة مع قصرها عندما زها مجد الشعب العبرانى المتضائل وعاد مرة أخرى الى وضعه السابق. لكن عندما استمر النبى فى حديثه وذكر يوسف ويهوذا، وتحدث عن ارجاع الشعب من أقاصى الارض، وعن اذلال أقوى الامم من أجلهم، وبين كيف أن أرض الموعد وان

سكنت لغاية لبنان فى الشمال وجلعاد فى الشرق سوف تكون صغيرة عليهم ـ نشعر أنه قد لاح أمامه فى أفق رؤيته شئ أعظم مما حدث او سيحدث حتى يدعو الله شعبه من كل اطراف العالم ليسكنوا فى أرضهم كما يصفر النحال لنحله المشتت لجمع العسل من المروج والبساتين ع٨.

وفى نفس الوقت فاننا فى هذا العهد الحاضر يمكن ان نتطلع الى الامة اليهودية كبذار مدفونة. "ازرعهم بين الشعوب فيذكروننى فى الاراضى البعيده ويحيون مع بنيهم ويرجعون" ع٩.

فى نهاية السبعين سنة ـ مدة السبى ـ تبدد شعب الله المختار فى بارثيا ومادى وفارس وما بين النهرين وكبدوكية وبنتطس وفريجية وبمفيلية ومصر وليبيا وروما وكريت وبلاد العرب اع ٢ : ٩ ـ ١١. لقد سقطوا فى الأرض ليموتوا فى كل أطراف الامبراطورية الرومانية. وبدا كأنهم مسحوا عن وجه الأرض كأمة، لكن هذا لم يكن الا بمثابة البذار التى يلقيها الفلاح فى باطن الارض وقت الخريف. فانهم بنوا مجامعهم، ونجحوا نجاحا عظيماً فى الاحياء التى حددت لهم فى المدن الكبيرة، ونشروا آراء جديدة عن الله، ومثلا أدبية عالية، واصطلاحات دينية جديدة مهدت الطريق للكرازة بالانجيل.

فى هذه الساعة الحاضرة يرقد اليهود مزروعين بين كل أمم الارض. لكنهم لا يزالون على قيد الحياة، يحيون مع بنيهم وسوف يرجعون يوما من الايام (١). سوف يأتى وقت الربيع الذى تنبت فيه البذار ثم يحين وقت الحصاد. لقد حلت بهم النكبات الشديدة زمنا طويلا، وقام بحر الآلام الشاسع بينهم وبين آمالهم العظيمة. لكن صديقهم القادر على كل شئ سوف يعبره ضاريا أمواجه ومجففا أعماقه ليصنع خلاصا عظيما حتى يعودوا لامتلاك الأرض التى أعطيت لآبائهم بعهد قوى.

هكذا كان الحال مع جماعة المؤمنين الاولين فان يد الاضطهاد العنيفة بذرت الحنطة يوم الخمسين التى ظلت كامنة فترة طويلة فى الكنيسة الأم (فى أورشليم)، بذرتها فى كل أرجاء اليهودية والسامرة. "فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة" اع ٨ : ١ ، ٤ "أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا الى فينيقية وقبرص وأنطاكية" اع ١١ : ١٩ . ولقد اتت هذه البذار التى زرعت فى الربيع بأينع الثمرات أتت بمائه ضعف ان ازداد عدد الكنائس التى أسست وعدد المنتصرين فى وقت وجيز. وبالرغم من تناقض عدد

---

(١) كتب ماير هذا الكتاب فى أول القرن العشرين. وها قد تحقق قوله بعد نحو خمسين عاما.

المؤمنين فى أورشليم فان عددهم فى كل أرجاء العالم كان يتزايد بكيفية بارزة جدا.

ما أكثر الأمثلة التى نجدها فى تاريخ الكنيسة عن نجاح زرع الله المنقطع النظير. قال الرب "أبى الكرام". انه يقوم بعملية الزرع بكلتا يديه. لقد بذرت بذار الملكوت النفيس عميقا فى قبور الآلام والموت أثناء الاضطهادات التى أجراها نيرون وداشيوس ودقلديانوس. لا شك فى أن الزارع الأعظم كان يتألم عندما كان يحمل البذار النفيسة الى أماكن خدماتها الأليمة. لقد دفنت فى بطون الوحوش المفترسة، فى مغاير وكهوف الأرض، لكنها عاشت ثانية فى حياة الملايين من المنتصرين الذين ملأوا الأرض بكيفية أذهلت مضطهديهم وأسكتتهم. وأخيرا كف الملوك عن قتل الشهداء لأن الاستشهادات الكثيرة لم تفلح الا فى زيادة تأصل المسيحية فى الامبراطورية الرومانية. وهكذا أصبحت دماء الشهداء بذار الكنيسة.

من المستحيل أن نصف ألوان التعذيب والاستشهادات التى تمت فى كل العصور فى تاريخ الكنيسة فى الشرق والغرب. ومن المستحيل أن نصف مقدار ما أنتجته هذه البذار التى بذرت فى حقل الكنيسة. ومن المستحيل أن نحصى عدد الشهداء الذين استشهدوا هنا وهنالك.

لكن صحائف كثيرة من سفر الحياة الذى للحمل لابد أن تكون قد امتلأت بأسمائهم "جمع كثير لا يستطيع أحد أن يعده من كل الامم والقبائل والشعوب والألسنة" رؤ ٧ : ٩ .

هذا ما حدث أيضا فى تاريخ الكنيسة الحديث. فان دماء شهداء أوغندا أثمرت ثلاثمائه كنيسة مسيحية. وجهود المرسلين فى الهند وبورما والصين وافريقيا التى سقطت فى أرض مظلمة موحشة ومات الكثيرون منهم فى أرض غريبة وبطرق عنيفة وفى سن الشباب، كانت نتيجتها خلاص ربوات كثيرة. "تكون حفنة بر (حنطة) فى الارض فى رؤوس الجبال (حيث التربة عميقة وتسمح بحفر القبور فيها) تتمايل مثل لبنان ثمرتها" مز ٧٢ : ١٦ .

لا شك فى أن الكثيرين من أولاد الله الذين يقرأون هذه السطور يعرفون معنى الزرع. لقد سقطوا هم أيضا على الارض ليموتوا. هذه القرية المجهولة التى يقول اصدقاؤك أنك قبرت فيها، هذا المركز الوضيع الذى دفنت فيه مواهبك، هذا الفراش الذى تضطجع عليه فى الالم والضعف، هذه الطلبات المستمرة التى تلح عليك للقيام بخدمات وضيعة وحقيرة، تلك الدعوة التى تدعوك لترك الوطن والاصدقاء وترك حقل الخدمة الناجحة لكى تعيش وسط قوم متوحشين وجهلاء ـ هذه كلها

قبور يزرع فيها الله شعبه، لا لكى يبقوا فيها الى الابد بل لكى يأتوا بثمر كثير. انك سوف تحيا فى حياة الآخرين. ان صلواتك وصدقاتك سوف تبقى تذكارا أمام الله، وسوف يعلن اليوم تلك الطرق العجيبة التى بها لم تبق وحدك (يو ١٢ : ٢٤).

اصغ الى شكوى البذار المدفونة. "يارب فى الضيف طلبناك. سكبنا مخافته عند تأديبك ايانا. كما ان الحبلى التى تقارب الولادة تتلوى وتصرخ فى مخاضها هكذا كنا قدامك يارب. حبلنا تلوينا كأننا ولدنا ريحا. لم نصنع خلاصا فى الارض ولم يسقط سكان المسكونة". لكن استمع الى اجابة الله "تحيا أمواتك. تقوم الجثث. استيقظوا ترنموا يا سكان التراب. لان طلك طل أعشاب والارض تسقط الاخيلة (تخرج الموتى)" اش ٢٦ : ١٦ ــ ١٩.

ان الزرع يعنى **الموت** "ان لم تقع حبة الحنطة فى الارض وتمت" يو ١٢ : ٢٤ . يجب أن نكون مستعدين بأن نموت لا عن الخطايا والاثام والشهوة فحسب بل أيضا عن طرقنا، التى نظن أننا بها نرضى الله، عن تهنئاتنا لأنفسنا بنتائج الخدمة المسيحية، عن تفكيرنا وتدبيرنا الشخصى. لابد أن حبة الحنطة الصغيرة تشعر بالالم عندما تجد أن العوامل الكيماوية الكامنة فى التربة قد هاجمتها ومزقت قشرتها

الخارجية ونفذت الى قلبها بعناصرها. وهى مع الأسف مضطرة ان تسلم جمال منظرها ورشاقتها وحيويتها. ان الموت ليس عملية سهلة. وعندما تطول هذه العملية، عندما تخمد الحركة بالتدريج، فأن الاحتمال يصبح مرا.

والزرع يعنى **الظلام**. فالبذار ترقد فى الظلام شهورا طويلة دون أن ترى النور. حدثتنا احدى السيدات عن الفترة الطويلة التى فيها فقدت كل فرح فى الله، الامر الذى دفعها الى الله نفسه. هذا اختبار غريب: "ان الله ينتزع كل اختبار ملموس ذلك الذى نختبر فيه نعمته، وينتزع كل قوة لخدمته، بل ينتزع نفس جمال الفضائل الالهية" والنفس لا تبعد عن الله، لانه يرافقها عندما تجتاز الوادى المظلم، لكنها تزداد تعمقا فى قبر يسوع، دون أغنية على شفاهها، ولا فرح فى قلبها، ولا أشعة من مصادر الرجاء والتعزية السابقة.

والزرع يعنى الوحدة والوحشة. ان حبة الحنطة تقع فى الارض وتموت لكى لا تبقى وحدها لكن هذا الموت يتضمن عملية طويلة. كل انسان يولد وحيدا ويموت وحيدا، قد يمس الله أصدقاءك فتنفصل عنهم بسبب شئ من سوء التفاهم. قد يمس حياتك العائلية فينتزع اعز الناس لديك، قد يمس علاقاتك الكنسية فتضطر أن تخرج خارج المحلة

حاملا عاره. ليس أحد ترك بيتا او أخوة او أخوات او أما او امراة او اولادا لأجل المسيح ولأجل الانجيل ألا ويأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتا واخوة واخوات وامهات واولادا وحقولا وفى الدهر الآتى الحياة الابدية مر ١٠ : ٢٩و ٣٠.

لكن الله لن ينسى البذار المدفونة. هل تنسى الام رضيعها؟ هل ينسى الفلاح البذار التى عانى فيها الكثير من التعب لبذرها؟ هل ينسى الله أولئك الذين لم يحسبوا حياتهم ثمينة بل من أجله ماتوا كل النهار وحسبوا كغنم للذبح؟ انهم خاصته بل كنزه الثمين.

فى ذلك السلم العجيب، سلم الصلاة الصاعدة الذى يحدثنا عنه هوشع، نستمع الى السماء تدعو الله، والارض تدعو السماء، والقمح والمسطار (الخمر) الزيت تدعو الأرض، ويزرعيل (أى المزروع) يدعو القمح والمسطار والزيت. والنتيجة من هذه النداءات التى تدوى فى الأرض والسماء ان ذاك الذى زرع شعبه فى الارض يرحمهم ويقول أنت شعبى وهم يقولون له أنت الهنا. "أنت ابونا وان لم يعرفنا ابراهيم وان لم يدرنا اسرائيل. أنت يارب أبونا ولينا منذ الأبد أسمك" اش ٦٣ : ١٦.

عندما تحين الساعة المعينة تستمع البذار المدفونة الى نداء الربيع فتقوم وتخرج من مكمنها. ويسمع فى طيات الأرض ذلك الصوت الذى نادى لعازر قائلا "هلم خارجا" والذين فى القبور يسمعون صوت كلمة الله فيخرجون. ما أعذب كلمات النبى التى تشبه تطور الربيع، تلك التى قال فيها حزقيال "فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على اقدامهم جيش عظيم جدا جدا" حز ٣٧ : ١١.

نعم أيها الذين قد قبروا، ان الله لن ينسى عملكم والمحبة التى أظهرتموها نحو اسمه أذ خدمتم القديسين وتخدمونهم عب ٦ : ١٠ حتى ولو كانت خدماتكم مختفية عن أعين العالم لا تنال منه اى تقدير. ان قيامتكم مضمونة. قد لا تستطيعون ان تتبينوا جسد النفع الذى سوف تلبسونه. سوف يلبسكم الله جسدكم كما يشاء، ولكل واحد جسده ولكن موتكم سوف يبتلع فى نصرة الحياة وسيمسح الله كل دمعة من عيونكم.

وهذه الحياة الجديدة سوف تكون ملكا لله. "فيذكروننى... ويحيون" ع٩. قال يسوع "من آمن بى ولو مات فسيحيا" يو ١١ : ٢٥ ومن يؤمن يتقبل. اذا فالحياة التى تعطى بعد الموت أنما تعطى اذ نقبل فى أرواحنا

ذاك الذى هو القيامة والحياة. نحن نقبل من الله ـ بفضل اتحادنا فى يسوع ـ كل ما سبق أن طلبناه فى خدمته.

ان النفس لا تعود تحيا بعد، ولا تعمل من تلقاء نفسها. لكن الله هو الذى يحيا فيها ويعمل فيها ويتحرك فيها وذلك بالروح القدس. وهذا يتم بالتدريج حتى تصبح غنية بغناه. وهى أيضا تفنى بالتدريج كما تجردت من ذاتها بالتدريج (٢كو ٣ : ١٨). ان النفس تحيا بحياة الله. أنها لا يعوزها شئ لأنه هو رئيس الحياة ومبدعها. لقد ضحت بكل خليقة من أجل الخالق، ضحت بلا شئ من أجل كل شئ. أنها تعطى كل شئ فى الله لا لكى تمتلك بل لكى تصبح هى ملكا لله (٢كو ٦ : ١٠، كو ٢ : ٩).

ربما تكون قد دفنت فى مصر، لكن الله سائر أمامك ليضرب امواج البحر، ويجفف أعماق النهر، التى كان يبدو أنها تحول دون العبور، انه يشددك لكى تتبعه، وكل ما عليك هو أن تخطو الخطوة الأولى بالايمان فتسلك باسمه ع ١٢.

من ذا الذى يستطيع أن يدرك النتائج؟ كل حبة من حبات الحنطة قد تنتج خمسين حبة، وكل من هذه خمسين، وكل من هذه خمسين. بهذه العملية نصل سريعا الى عشرات الالوف. هلم انظر

محصول الدموع والصلوات والآلام. سوف يعوض الله أضعافا. ارفع عينيك وانظر أنهم يتجمعون ويأتون اليك "يأتي بنوك من بعيد وتحمل بناتك على الايدي". "الصغير يصير ألفا والحقير أمة قوية. انا الرب في وقته أسرع به" اش ٦٠ : ٤و ٢٢.

* * *

١٢

راعى اسرائيل

(زكريا ١١ : ١ ـ ١٧ و ١٣ : ٥ ـ ٩)

ان قرأنا هاتين الفقرتين معا لاحظنا أنهما تشيران الى خدمة المسيا لقطيعة من الشعب المختار ومن الخراف الآخر التى تحدث عنها قائلا أنها ليست من هذه الحظيرة لكنه سوف يأتى بها ايضا فتكون رعية واحدة وراعيا واحدا يو ١٠ : ١٦ .

قبل أن يبيع يهوذا الراعى الحقيقى بثلاثين من الفضة ـ وهى ثمن العبد ـ ويعضه الندم فيطرح ثمن الدم على بلاط الهيكل، قبل ذلك بخمسمائة سنة مثل نفس المنظر فى شوارع أورشليم التى كانت قد نهضت حديثا من التراب. ان النبوة لا تقوم بالاقوال فحسب بل بالاعمال أيضا، وكثيرا ما حرك الروح القدس الانبياء للتنبؤ عن بعض احداث المستقبل بأعمال بارزة يقومون بها.

فى الوقت الذى نكتب عنه الآن يبدو أن الشعب اليهودى كان فى حالة سيئة. فقد ارتحل من العالم كل من يهوشع وزربابل، وكان الولاة والكهنة الذين خلفوهما متأثرين بانفعالات نفسانية عنيفة جدا. لقد شبهوا بنار تأكل أرز لبنان أو بفأس سقط بها بلوط بشان. لقد ذبحوا

الغنم من أجل الصوف، وأصبح الشعب فريسة مطامعهم الاشعبية ومصالحهم الشخصية. "وبائعوهم يقولون مبارك الرب قد استغنيت. ورعاتهم لا يشفقون عليهم" ع٥. ارتفعت كل يد على الأخرى، والاغنياء نهبوا الفقراء، والحكام (ع٦) خربوا الارض، والطغاة أذلوا الضعفاء وأضطهدوهم.

تحت هذه الظروف أحس زكريا أنه قد دعى ليكون راعى غنم الرب المسلوب، وليقف فى الثغرة التي يجب أن يملأها أشخاص أمناء نزيهون. ويبدو ان اسرائيل لم يدركوا سلطته الرعوية، لكنه على أى حال تحقق من دعوة الله جيدا ورعى غنم الذبح، سيما أذل الغنم ع٧.

كانت فى يده عصوان، الاولى مراوة يطرد بها الوحوش المفترسة، والثانية عصا الرعاية التى بها ينقذ أى واحد من الغنم سقط فى حفرة أو تورط فى أجمة. سمى الواحدة جمالا أو نعمة وسمى الأخرى حبالا أو اتحادا. كانت هاتان هما العصا والعكاز اللذان ذكرهما داود فى مزاميره الأولى. وهما تمثلان موقف الله الدائم ازاء غنمه. انه يعاملهم بصفة مستمرة بنعمة غزيرة، وهو يتحد بهم ـ كما يجب أن يتحدوا هم بعضهم ببعض ـ بحبال أو يهبط المحبة الابدية.

لقد فشل ثلاثة رعاة فى المهمة الشاقة مهمة عادة النظام فى الأرض المنزعجة المضطربة. والارجح ان هؤلاء الرعاة الثلاثة يمثلون وظيفة الرب المثلثة، ككاهن ونبى وملك. وكانت هناك خصومة بينهم وبين الله "وضاقت نفسى بهم وكرهتنى أيضا نفسهم" ع٨.

وبعد أن بذل زكريا مجهودا قليلا لمصالحة اسرائيل مع راعيهم الحقيقى أعلن تنحيه عن هذه المهمة قائلا "فقلت لا أرعاكم. من يمت فليمت. ومن يبد فليبد. والبقية فليأكل بعضها لحم بعض" ع٩ ثم قصف عصاه ذات النعمة الجميلة، كأن محبة الله الغنية قد كفت عن صراعها الطويل مع كبريائهم وعناد قلوبهم، واذ فعل هذا علم أذل الغنم الذين أصغوا اليه انه انما تصرف وفقا لكلمة الرب ع١١.

بعد ذلك جاء الاختبار الفاصل. لقد طلب النبى من الشعب أن يقدروا ثمن خدماته، ويعطوه نقدية بما يوازى قيمتها. "فقلت لهم ان حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى. والا فامتنعوا" ع١٢. لعل هذا الاجراء حدث فى الهيكل اذ وقف ممسكا بيده عصاه الاخرى فى مواجهة أولئك الذين تقلدوا المركز الكهنوتى ولم تكن لهم الروح الكهنوتية. وبهزء واحتقار وزنوا له ثلاثين من الفضة، وهى ثمن العبد، وكأن لسان حالهم يقول: خذ هذا يا نبى الله، فأن خدماتك للجماعة

عديمة القيمة كاحقر الخدمات التى يؤديها أحقر الخدم، وهكذا تثمن صلوات المرء ودموعه وقلبه الذى يفيض رقة وحياته حياة التضحية المطلقة. فقال الصوت الداخلى "القها الى الفخارى". أما عن هذا الشعب فانهم يقعون فى أيدى ولاة يأكلون لحم السمان (الغنم السمينة) ويقودونها فى طرق وعرة فتنزع اظلافها ع١٦. وهذه نبوة تمت مع الالم المرير أيام انطيوخس وهيرودس الكبير.

عندئذ قصف النبى أيضا عصاه الأخرى حبالا لنقض الآخاء بين يهوذا واسرائيل رمزيا وبعد ذلك فعلا. وواضح جدا أن الاخاء معدوم اليوم، فاليهود الذين بيننا هم سلالة يهوذا وبنيامين، وابن الاسباط العشرة؟.

وفى الفقرة التالية (ع١٥ ـ ١٧) توجد أشارة واضحة أخرى لحكم انطيوخس المروع، الذى كان من نتيجة قساوته بازاء اليهود ظهور الابطال العظماء، أى المكابيين، ورفقائهم، وقيامهم باعمال البطولة والبسالة التى ستبقى خالدة فى تاريخ العالم.

وبعد خمسة قرون بذل الرب مجهودا أخيرا لارجاع خرافه الضالة الذين كانوا "منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها" مت ٩ : ٣٦ لقد جاء يسوع المملوء نعمة وحقا ليجمع الخراف التى تشتت فى يوم

سحاب وظلمة. لقد كانت فعلا "غنم الذبح" عندما بدأ خدمته كانت ظلال تلك العاصفة المروعة التى كانت سوف تكتسح جبل صهيون بويلاتها بعد أربعين سنة قد بدأت تجثم فوق الشعب المختار ولو أنهم كانوا قد ادركوا وظائفه الرحيمة وقبلوها لكان قد تحول عنهم ذلك الذبح، ولكان الراعى الصالح قد نجى خرافه من الاخطار التى هددتها، وذلك بعصا نعمته وعكاز محبته، ولكان قد حقق نبوة حزقيال القديمة "ارعاها فى مرعى جيد ويكون مراحها على جبال اسرائيل" حز ٣٤ : ١٤ . لكنهم لم يقبلوه بتاتا، لقد أراد ان يجمعهم كما تجمع الدجاجة فراخها ولكنهم لم يريدوا. لذلك اضطر أن يقصف عصاه وعكازه ويتركهم لنتائج خطيتهم. اضطر ان يكف عن جهوده الحارة، واذ ترك الهيكل نطق بهذه الكلمات المنذرة بالويلات المريرة "هوذا بيتكم يترك لكم خرابا لأنى أقول لكم أنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب" مت ٢٣ : ٣٧ ـ ٣٩ وهذه نبوة تشير على الأرجح الى الحقبة التى يتحدث عنها النبى فى الاصحاح الأخير من هذا السفر. واذ انسحب يسوع من الهيكل امتنع آخر مجهود يبذله الرب لتخليص اسرائيل كأمة، فقد سقط أعظم انبيائه وأزيل آخر حاجز كان يحول دون حلول الغضب عليهم.

فى هذه اللحظة طلب من الأمة أن تقدر قيمة خدمة المخلص. فعقدت بين يهوذا الاسخريوطى والكهنة اتفاقية مشئومة "فجعلوا له ثلاثين من الفضة". أمام طيب مريم الكثير الثمن الذى هزأ به يهوذا تتضاءل جدا هذه الهبة الهزيلة التى قدمها له الكهنة. لكن بهذا الثمن بيع مسيا وسلم للموت.

خرج الراعى الصالح وحيدا ليقابل السيف اذ لم تقبله خاصته، الشعب الذى تاق من كل قلبه أن يخلصهم. وهجره اتباعة المختارون. خرج ليقابل لا سيف قيافا أو الكهنة، ولا سيف بيلاطس أو الرومانيين، ولا سيف العدل الذى كان مشرفا على الضرب، بل سيف الانتقام العادل من أجل خطايا اسرائيل وخطايا كل العالم. ومع أنه كان يهوديا بالمولد الا أنه كان أكثر من هذا. كان ابن الانسان، آدم الثانى، الرب من السماء. كانت هذه هى الالقاب الموضوعة فوق رأسة كتيجان كثيرة. لقد كان يمثل كل الجنس البشرى عندما خرج ليقبل فى قلبه ذلك القصاص الذى كان كسيف دموكليس (١) معلقا على شعره مشرفا على البطش لا بأورشليم وحدها بل بكل العالم. لقد سمع النداء الخفى يردد فى أرجاء الهيكل وفى ممرات الزمن "استيقظ يا سيف على

(١) كان ينادى بأنه لا أمان للسعادة، وان الاخطار تهدد حياة المرء حتى فى اسعد أيامه. وكان يدعم هذا الرأى بالجلوس فى الولائم، وفوق رأسه سيف معلق على شعره.

راعــى وعلــى رجــل رفــــقــتى يقــول رب الجنود. أضــرب الراعى' ص ١٣ : ٧.

لمع هـــذا السـيف فى يد الكروبيم على باب جنة عـدن وتقلب (أى اتجه كل اتجاه) لحراسة طريق شجرة الحيـاة. وهدد باقتـفـاء أثر الزوجين العـاصيين بحده الذى لا يرق ولا يلين. كـان هذا هو سيف العدل، كلمة الله التى هى كسيف ذى حدين التى تجازى العصيان بالموت. ظل هادئا نائما في غمده أربعة آلاف سنة على أساس التأكيد الالهى بأن الرحـمـة ستظهر للبشر وتتصالح مع العدل الذى يتطلب قصـاصـا عـادلا من أجل كسر الوصيـة. لكنه لم يكن ممكنا ان يظل نائمـا الى الأبد. فـالعـدل يجب أن يتم. وهكذا فى ملء الزمـان قـدم يسوع كـفارة لكى يظهر بر الله من أجل الصـفح عن الخطايا السـالفة بامهال الله، وفى نفس الوقت ليكون الله بارا (او عادلا) ويبرر من هو من الايمان بيسوع. رو ٣ : ٢٥ و ٢٦.

عندما ألقى القبض على الرب في البستـان، وحكم عليه القـضاة، وأخيرا سمر على الصليب، عندما نفذ الحزن الشديد الى قلبه عندما أخذ الجندى الحربة وطعن بها جنبه ـ عندئذ أستيقظ العدل الالهى مع هذه العـلامـات الظاهرية فى نفس الوقت، وطعن قلبـه. 'مـجـروح

لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه. وبحبره شفينا" اش ٥٣ : ٥. نحن لا نستطيع أن نخترق الحجاب لندرك أعماق معنى الصليب. أو ندرك كيف امكن ان تعتبر آلام الراعى مساوية لتحملنا نتائج خطايانا. وليس من الهين ان ندرك كيف انتقلت العقوبة من الجنس البشرى الخاطئ الى ذاك الذى ناب عنهم وهو لم يفعل خطية. على أنه من المستحيل ان نقرأ كلمات الوحى التى تصف موت المسيح دون ان ندرك أنه قد وفى مطالب العدل الالهى بكيفية قد نفهمها فى السماء. ولا شك فى ان اقتباس الرب نفسه لهذه الآية وهو على عتبة جثسيمانى (مت ٢٦ : ٣١) يبين اتمام النبوة ونحن نؤمن ان السيف سوف ينام الى الابد لانه نفذ الى قلبه. لقد تعظم الناموس وأكرم. وهذا ما لم يكن ممكنا ان يحصل بهلاك الجنس البشرى. ومهما عظمنا فى تقدير قيمة موت المسيح يسوع ربنا كمثل أعلى للصبر وتضحية النفس فيجب ان لا ننسى أبدا أنه فعل نيابة عنا ما لم يكن ممكنا ان نفعله لتعظيم الناموس الالهى واكرامه وايفاء مطالبة.

وجميل ان نلاحظ كيف يقتبس الرب هذه الدعوة للسيف. لقد سمعها النبى توجه من شفتى الله مباشرة "استيقظ يا سيف على راعى

وعلى رجل رفقتى". أما من وجهة نظر الرب يسوع فان السيف لم يكن مجرد آلة خرساء ذات قوة آلية، بل كان آلة فى يد الأب. وهذا ما يفهم من الكلمات التى نطق بها هو نفسه "انى اضرب الراعى"، انه لم ير فى السيف أى غموض أو أبهام.. ولم يعتقد بأن أية صفة الهية كالعدل او البر هى التى أخرجت السيف من غمده لتطعن به قلبه. بل انه رفض حتى ان يرى السيف فى يد يهوذا أو قيافا أو بيلاطس. ولكنه تجاوز عن كل هذه العلل الثانوية وتقدم الى حضرة الأب نفسه، وتحقق ان الاب هو مزج الكأس ورتب موت الصليب وأمسك بالسيف. ولأجل هذا قبل الموت طوعا.

من هذا يجب ان تتعلم أيها الحبيب درسا جوهريا. فى كل الاضطرابات والمتاعب التى يسببها لك الناس لا تعتبر نفسك قط فريسة لتدبيراتهم الشريرة كأنك كنت كريشة فى مهب الريح. بل ثق بأن كل ما يسمح به الله لك انما هو من تدبيره، وان هنالك قصدا اليها من وراء كل مؤامراتهم وتدابيرهم الشريرة.

ان عمق معنى وقيمة موت الصليب يتبين من الألقاب الثلاثة التى وجهت الى المتالم.

"راعى". لاحظ أنه لم يقل بانه مجرد راع بل "راعى" انا. كأن الرب قد أراد ان يبين الفارق بين راعيه وسائر الرعاة. هنالك فارق بين داود الذى اختاره الرب وشاول الذى اختاره الشعب. من بين الأسرة البشرية قد اختار الله، ولا يزال، جماعة يمتون بصلة القرابة لابنه" وعمل فيهم بروحه القدوس، وهؤلاء يعتبرون خرافه الذين يرعاهم هو برعاية خاصة. هؤلاء كانوا للاب، لكن الأب قد سلمهم للابن حسب تعبير المسيح نفسه "كانوا لك وأعطيتهم لى..... وهم آمنوا انك أنت ارسلتنى" يو ١٧ : ٦ و ٨. ولانهم يتميزون عن سائر البشر، اذ انهم يسمعون صوت الراعى ويعرفونه ويتبعونه، فانهم يتمتعون برعايته المباشرة وبعناية خاصة. انه يرشدهم وسط ظلمات الحياة، فى مراع خضر يربضهم، الى مياه الراحة يوردهم، يتقدمهم بالارشاد وسط الممرات المظلمة والادوية الخطرة، يدافع عنهم بعصاه وعكازه من الاسد والدب، وحتى فى آفاق المجد لا يكف عن ان يكون راعيهم. وهم يتبعونه لا فى هذه الحياة فحسب بل حتى فى قلب الأبدية حيث تظهر للعيان ينابيع الحياة لاول مرة.

فى الليلة التى أسلم فيها والتى خرج فيها ليقابل يهوذا وجماعته كانت ماثلة أمام الراعى الأعظم هذه الفكرة وهى ان الخراف قد اوكلت الى رعايته اذ وضع نفسه بينهم وبين جماعته القليلة المذعورة من خلفه. قال "ان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون" يو ١٨ : ٨. لو أنه كان أجيرا لهرب اذ رأى الذئب قادما. لكن لانه هو الراعى الصالح فقد وقف بين جماعته وبين الخطر وهذا ما يفعله أبدا فى كل ساعة مظلمة قد تهاجمنا طالما كنا فى هذا العالم.

«رفيقى» (١)، عندما اقتبس الرب هذه الآية فى العلية التى أكل فيها الفصح مع تلاميذه توقف قبل ان يكلمها بهذه العبارة، لكن توقفه لم يكن لعدم رغبته فى تطبيقها على نفسه، فانه يعلم تماما انه هو والاب واحد والا لما قال "بصيغة الجمع "اليه نأتى وعنده نصنع منزلا" يو ١٤ : ٢٣. لم يحسب مساواته لله فرصة يختلسها (فى ٢ : ٦). ولانه رفيق الله فقد صار موته ثمينا جدا لا تقدر قيمته. لم يستطع الانسان أن يفدى الانسان (مز ٤٩ : ٧) لكن المشرع الأعظم نفسه قبل فى قلبه قصاص تعدى ناموسه ووفى كل مطالبة.

---

(١)ترجمت هذه العبارة "رجل رفقنى" فى الانجليزية هكذا "الرجل رفيقى".

لا شك فى أن هناك فارقا مقصودا بين الرفيق والجنود. فالله رب جنود كثيرة فى السماء وعلى الارض وفى البحر، لكنه له رفيق واحد. لم تستطع كل جنود الملائكة وجنود الطبيعة أن تتمم عمل الكفارة الذى كان ينبغى أن يتممه هو نفسه، لهذا جاء يسوع وتممه.

«الرجل» "الرجل رفيقى" لقد تبين ناسوته فى الدموع والآلام التى قربته الينا. لقد أحصى مع أثمة، وعلق بين فاعلى شر ولهذا فلن يوجد خاطئ أثيم لا يستطيع الاقتراب منه. به صار لنا قدوم لدى الأب. لقد حطم الحاجز المتوسط بيننا وبين الاب وصالحنا معه.

بالنعمة التى بالانسان الواحد يسوع المسيح ننال فيض النعمة ونملك فى الحياة فى هذا العالم والعالم العتيد رو ٥ : ١٥و ١٧ .

فاحترس كل الاحتراس فى معاملة هذا المبارك. لا يزال الكثيرون يبيعونه بثلاثين من الفضة، ويدوسون باقدامهم دمه الكريم، ويزدرون بنعمته. لا يزالون يفضلون الفضة على بركاته التى لا تقدر. فليت عيونهم العمياء تنفتح لترى مجد وجمال ذاك الواقف يقرع على أبوابهم.

لقد تشتت التلاميذ لما أخذ راعيهم. ولقد سبق ان رأى ما سيحدث "هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركوننى وحدى" يو ١٦ : ٣٢. وقد بدأ اليهم فى الساعات التالية كان يد الله عليهم لاهلاكهم. ولكن من ذا الذى يستطيع ان يخبر بالويلات التى حلت بالشعب المختار الذين رفضوا مسيا. لقد حزن التلاميذ برهة وللحال تحول حزنهم الى فرح. أما اليهود فقد أحنوا رقابهم للويلات التى حلت بأمتهم بعد أربعين سنة. لقد حدث فى كل الارض ان الثلثين أبيدوا عن أخرهم اما الثلث الباقى فجاز فى النار ولا يزال الى الآن ص ١٣ : ٨و ٩ ولا يمكن الا ان يحدث هذا الى ان يعترفوا بيسوع كراع حقيقى لهم، ويسمحوا له بأن يضمهم الى حظيرته، ويتذللوا أمامه لكى يصبحوا شعب مرعاه وغنم يده. مز ٩٥ : ٧.

* * *

١٣

روح النعمة والتضرعات

(زكريا ١٢ و ١٣)

"يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض ـ وجابل روح الانسان في داخله". بهذه الكلمات يفتتح الاصحاح الثانى عشر كأن المتكلم اراد أن يعطى كل تأكيد ويزيل كل شك فى قدرته على اتمام كل ما كان مزمعا أن يعلنه.

تشير الرؤية نفسها الى حدث لا يزال منتظرا. ولعله ليس ببعيد حينما يعود شعب اليهود الى أرضهم، ولكنها يكونون لا يزالون فى عدم ايمانهم. ويعتقد البعض أنهم سوف يتحالفون مع جماعة يتمثل فيهم ضد المسيح وفقا لما ورد فى دا ٩ : ٢٧. لسبب ما ـ لأن الامور الراهنة لا تزال فى طى الكتمان ـ ستصبح كراهة الشعوب السامية التى بدأت تتفشى فى بعض الممالك الاوربية ـ ستصبح عامة "ويجتمع عليها (على أورشليم) كل أمم الأرض" زك ١٢ : ٣. لكن محالفتهم سوف تطوح بها مصيبة عظمى. هذا هو الوحى المثلث الاركان:

"هانذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها" ع٢.

"انى أجعل أورشليم حجرا مشوالا لجميع الشعوب" ع٣.

"فى ذلك اليوم أجعل امراء يهوذا كمصباح نار بين الحطب" ع٦.

وللحال أعطى تأكيد بأنه فى ذلك اليوم المروع، الذى وصف بأسباب أكثر فى الاصحاح التالى، سوف يخلص الرب ويستر (أى يدافع) ع٧و ٨. ان مسيا الذى طال رفضه سوف يظهر فى السحاب مع عروسه ـ الكنيسة ـ لاغاثة أخوته كما فعل يوسف مع أخوته. وعندما يبصرونه جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء كما قال هو بنفسه لقيافا مت٢٦ : ٦٤. فأنهم سوف يرددون تلك الانشودة القديمة التى أعدها أشعيا لهذه المناسبة عينها اذ يبتلع الموت الى غلبة ويزيل عار شعبه من كل الارض. "ويقال فى ذلك اليوم هوذا هذا الهنا انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه" اش ٢٥ : ٩ "هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الارض. نعم آمين" رؤ ١ : ٧، زك ١٢ : ١٠ عندئذ يقتل الرب يسوع ذلك الفاجر بنفخة فمه ويلاشية ببهاء مجيئه. عندئذ يتم ذلك التهديد المروع الوارد فى

هذه الفقرة "ويكون فى ذلك اليوم انى التمس هلاك كل الامم الآتين على أورشليم" ١٢ : ٩.

ولنحول أنظارنا الآن عن هذا الجانب من الصورة لنتأمل فى التأثير المثلث الذى سوف يحدثه فى اليهود أنفسهم هذا التدخل:

"فى ذلك اليوم يعظم النوح فى أورشليم" ع١١.

"فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا" ١٣ : ١.

"ويكون فى ذلك اليوم انى أقطع أسماء الاصنام من الارض فلا تذكر بعد" ١٣ : ٢.

(١) **نوح عظيم:-** وهذه ينطق بها النبى بلهجة التأكيد دون أى تردد، كلهجة بولس حينما قال "وهكذا سيخلص جميع اسرائيل" رو ١١ : ٢٦. هذا ما يستطيع السائح اليوم أن يلمس آثاره عندما يجوب شوارع أورشليم، أو عندما يقف أمام ذلك الأثر الباقى من السور الذى يقف اليهود بجواره باكين منتحبين. يعظم النوح لا لأن الاتراك دنسوا الاماكن المقدسة، ولا لانهم أينما أداروا الطرف رأوا الخرب التى تحدث عن مجد تليد، ولا بسبب الآلام التى يكابدها جنس

اليهود الذين قد امتلأ العالم بكراهيتهم الشديدة، بل يعظم نوح كل واحد بسب رفضه المسيا شخصيا، ذلك الذى سيق فى شوارع أورشليم وصلب خارج الباب.

التشبية: "كنوح هدد رمون فى بقعة مجدون". فى هذه البقعة قتل المصريون بسهامهم يوشيا الملك الصالح الذى كان ملكه الشعاعة الوحيدة المنيرة فى الفترة بين ملك حزقيا وبين سقوط المملكة. وقد رثاه أرميا زعيم الراثين. كما رثاه المرنمون والمرنمات فى مرثياتهم. لم يكن هناك حزن عام وشديد منذ قيام اسرائيل كأمة كذاك الذى حدث عندما حملت المركبة الملكية جثة هذا الملك فى شوارع أورشليم لدفنها. فكان هذا الحزن هو الرمز الوحيد الذى يصلح للتعبير عن الحزن الشعبى القادم عندما ينظر اسرائيل الى ربهم الذى رفضوه وينوحون.

وهنا يستخدم الوحى تشبيها آخر "كنائح على وحيد له ويكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره" ع١٠. ان نوح الوالدين على وحيدهما يمزق القلب فى كل بلد ووسط كل شعب، سيما فى الشرق وفى بيوت العبرانيين وذلك البكاء المر الذى سوف يملأ أورشليم

يوما سيكون كما حدث فى أرض مصر حينما ناحت كل عائلة على موت بكرها.

وسيكون **عاما**. من أعظم عظيم الى أصغر صغير فى الاسرة الملكية لان "ناثان" هنا يمثل أصغر أبناء داود. من أعظم عظيم الى أصغرصغير فى الأسرة الكهنوتية، لان شمعى يمثل أصغر عشائر الكهنة شأنا. كل الشعب الباقى سوف يشتركون فى حزن واحد شامل. ان القلب ليحزن عند رؤية ابن ضال واحد يكتئب من أجل خطيته، فكيف يكون الحال عندما تنوح أمة بأكملها وتقرع على صدورها من أجل خطاياها. رثاء ونحيب وعويل كثير فى كل ركن، كل عين تدمع، وكل قلب ينفطر حزنا.

وسيكون فرديا. "عشائر عشائر على حدتها ونساؤهم على حدتهن" ع١٢. أن الحزن المفرط يدفع بالمرء ليكون وحيدا. ولا يحتمل أية تعزية. فالفكر يكون محصورا فى موضوع الحزن بحيث لا يطيق أى انسان بجواره. لهذا لم يتعجب أصدقاء مرثا عندما اسرعت فى الخروج من البيت وكان ممتلئا بالمعزين. بل همس الواحد فى أذن الآخر قائلا: هذا طبيعى. انها تريد ان تكون وحيدة. "انها تذهب الى القبر لتبكى هناك".

اذا فهذا الحزن سوف يعزل الشعب بعضهم عن بعض. كل يبكى على حاله. كل يشعر بأنه هو المسئول الاول. كل يعتقد بانه هو المطالب بدماء المسيا. كل ينوح ويعترف بخطاياه بدلا من طلب الرحمة كل يقول: أخطات، طعنت يديه وقدميه، أنا اشقى جميع الناس، أنا اول الخطاة.

وسيكون الباعث عليه رؤية آلام يسوع الشفاعية. "فينظرون الى الذى طعنوه وينوحون عليه" ١٢ : ١٠ . ليس هنالك شك فيما يتعلق بتطبيق هذه الكلمات. لانه عندما كان التلميذ الحبيب واقفا بجانب الصليب الذى علق عليه الجسد المبارك ورأى الجندى يطعن جنبه فخرج منه دم وماء ذكره الروح القدس بأن هذا المكتوب قد تم وقتئذ. يو ١٩ : ٣٤ ـ ٣٧.

هذه هى الحقيقة التى يسر روح الله استخدامها لاذابة قلوبنا القاسية. انها تنكسر لرؤية قلب يسوع الكسير. وتطعن لرؤية الجنب المطعون. وتنوح عندما تنظر الى الذى طعنوه.

هنالك نوعان من الحزن: الاول حزن للموت والثانى للحياة. الاول يتأمل فى قصاص اخطائنا والثانى يتأمل فى الشخص الذى أخطأنا

ضده. الاول أنانى يفزع فقط من لسعة العقرب ومن آلام لهيب النار. ويمكن أن يبطل فى الحال لو بطلت مسبباته. والثانى لا ينظر بالمرة الى النتائج التى تحل به شخصيا لكنه انما ينوح بسبب الخزى والحزن والآلام التى بعثها الى قلب يسوع الرقيق الكلى المحبة.

كثيرا ما يظن الخطاة عندما يطلبون المغفرة انهم يجب ان يحزنوا كاستحقاق لقبولهم أمام المخلص. ان كانوا يشعرون بان الحزن كاف للتكفير عن الخطية لحق لهم أن يأتوا بدموعهم ثمنا لرحمته وباعثا على نوال خلاصه. لكننا نعتقد أنه لن يوجد هناك حزن كاف للتكفير عن الخطية. ان أردنا البحث عن هذا لظللنا نبحث عنه الى الأبد. ان أرجأنا التقدم الى الله حتى تمتلئ الزجاجات بالدموع فمعنى هذا اننا سوف نرجئه الى الابد. وعلاوة على هذا فان فلسفة الامر الروحية هى أننا نحزن الحزن الحقيقى من أجل الخطية قبل ان نرى يسوع وندخل الى عمق محبته. ان الدموع التى نحن فى حاجة للبكاء من أجلها لا تأتى قبل التجديد بل بعده. فتلك المرأة الخاطئة المنبوذة المسكينة لم تغسل قدمى المخلص بالدموع الا بعد ان غفرت لها خطاياها وبعد أن نظر يسوع الى بطرس خرج وبكى بكاء مرا. يجب أن نأتى الى يسوع كما نحن دون أن نحاول ادراك ماهية الخطية. ودون ان نسعى للحزن

اللائق. لكن كل مـا علينا هو ان نقـبل عـمله الذى تممـه على الصليب وأن نثق فى شخصه المبارك. وبعد ذلك ينسكب الحزن في قلوبنا. ان العيون التى تشخص نحوه اولا لطلب الخلاص قد لا تدمع من قبل. لكنها لن تستمر طويلا جافة من الدموع. واول ما يطلب هو تحرك الارادة، وآخر شئ هو العـواطف. عندمـا ننظر الى ذلك الذى طعنته خطايانا ننوح عليه كنائح على وحيد له ونكون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره.

اذا فلنميز بين التوبة والندامة. الاولى تبعثها الارادة والثانية يبعثها القلب. اننا نتوب عندما نرجع من الخطية الى المسيح. ونندم عندما ننظر الى عينية كما فعل بطرس ونخرج خارجا لنبكى بكاء مرا. التوبة هى عمل الساعة الحاسم. أما الندامة فانها تلازمنا الى عتبة السماء ولا تنقشع الا أمام نور البركة الابدية.

والـــذى يعـــمل على خلق هذا النوح هو الروح القـدس: "وأفيض... روح النعمـة والتضرعات" ١٢ : ١٠ . ان التبكيت على الخطية هو عمل الروح القدس الخاص. وهو يستعمل الحق سيفا له ويخترق الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ عب ٤ : ١٢ . انه

بنوع خاص يحمل حقيقة آلام الرب يسوع وموته ويقدمها الى الضمير، ويوضح جليا شناعة رفض مخلص كهذا، وعطف كهذا، ومحبة طاهرة ملتهبة كهذه، الى أن تدرك النفس مقدار ما كلفته الخطية للرب، فتذوب كما يذوب الثلج أمام الحرارة.

(٣) **ينبوع مفتوح**. لقد أشار بطرس يوم الخمسين الى هذه المجارى المطهرة "فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس" اع ٢ : ٣٨، لقد وضح يوحنا بنيان قوة هذه العبارة "كل واحد منكم" بكيفية رائعة:

ـ لكننى ضربته على رأسه بالعصا فهل لى رجاء؟

ـ فقال الرسول: كل واحد منكم.

ـ لكننى تفلت على وجهه: فهل لى مغفرة؟

ـ فأجاب: نعم لكل واحد منكم.

ـ لكننى دقيت فى يديه ورجليه المسامير التى ثبتته على الصليب فهل هنالك تطهير لى؟.

ـ فصرخ بطرس قائلا: نعم لكل واحد منكم.

ـ لكننى طعنت جنبه رغم أنه لم يسئ الى. وكان هذا قوة ووحشية منى. وكم أنا حـزين من أجله الآن. فـهل يمكن أن تغـسل هذه الخطية ؟

– فكان الجواب كالمعتاد: كل واحد منكم. توبوا وأرجعوا لتمحى خطاياكم. دم يسوع المسيح ابن الله يطهر من كل خطية. "ان كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس الى طهارة الجسد. فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم" اع ٣ : ١٩، ١ يو ١ : ٧، عب ٩ : ١٣و ١٤.

وكما حدث فى بداية هذا العهد هكذا سيحدث فى ختامه مع هذا الفرق وهو انه فى بدايته لم يتقدم الى الينبوع سوى بضعه آلاف، أما فى ختامه فسوف تتقدم أمة كاملة "بيت داود وسكان أورشليم" فيغتسلون ويطهرون. عندئذ تتم كلمات بطرس الرسول التى نطق بها فى رواق سليمان منذ اجيال خالية، عندما يتوب اسرائيل ويرجع، وتمحى خطاياهم، وتأتى أوقات الفرج من وجه الرب، وتحل أزمنة رد كل شئ "التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر" اع ٣ : ٢١.

(٣) **ابادة العبادة الوثنية**. سوف تقطع أسماء الأصنام من الارض، ويزال منها أيضا الانبياء والارواح النجسة ١٣ : ٢. ليس بكاف أن يغفر الله لكنه يستأصل مصادر الضلال والارتداد من بين شعبه. ولذلك فسوف تستأصل الاصنام والانبياء والارواح النجسة.

أما كيف تتم هذه الاجراءات بكيفية قاطعة فتراه يمثل هنا فى منظر احدى العائلات فى تلك الايام السعيدة. المفروض هو ان ابن الوالدين التقيين اللذين ناحا حديثا من أجل خطاياهما وتخلصا منها يجد نفسه بغته قد دعى ليمثل دور النبى. فيشجع الناس للمجئ اليه ليكشف عن الجانى فى حادث سرقة أو قتل، أو ليجعل المطر ينزل على الأرض العطشة، او ليجرى بعض الاعمال السحرية للمرضى، أو ليدعو الموتى، ليفعل فى الواقع ما طلب بالاق من بلعام ان يفعله لما دعاه اليه من عبر الصحراء. فيأتى الانبياء الى والديه اللذين قد التصقا بالله بكل أخلاص لدرجة انهما يفضلان موت ابنهما عن أن يسمحا له بمتابعة شره الذى يهين الله فى بيتهما "ويكون اذا تنبأ احد بعد ان أباه وأمه والديه يقولان له لا تعيش لانك تكلمت بالكذب باسم الرب. فيطعنه أبوه وأمه والداه عندما يتنبأ" ١٣ : ٣. لا توجد كيفية لوصف مقدار التحول العظيم الذى

سوف يحدث فى الشعب اليهودى أكثر من ان أمانتهم لله سوف تتغلب على محبتهم الطبيعية لابنائهم.

سوف يكون الشعور ضد العبادة الوثنية والانبياء قويا جدا حتى أن ممارسى تلك المهن التى كان يسهل على الشعب تصديقها يخجلون بل يخافون من الاعتراف بها. "الانبياء يخزون كل واحد من رؤياه اذا تنبأ. ولا يلبسون ثوب شعر لاجل الغش" ١٣ : ٤.

وان قام شعب أية مدينة على رجل يشتبه فى أنه نبى احتج بكل قوة بأنهم خاطئون وانه ليس نبيا. ولخوفه على حياته، لتأكده من حنق متهميه، فانه يدعى أى أدعاه ليزيل كل شبهة عنه "لست أنا نبيا. أنا انسان فالح الارض لان انسانا اقتنانى من صباى" ١٣ : ٥.

وان تابعوا أسئلتهم الملتهبة وأكتشفوا أخيرا فى جسده بعض الآثار التى توضح أنه كان سابقا متسما بسمات النبى فضل أن ينسبها الى أيدى أحبائه عن ان يشتبه فيه بانه نبى "فيقول له ما هذه الجروح فى يديك. فيقول هى التى جرحت بها فى بيت أحبائى" ع٦.

بالرغم من ان القرينة تبين ان المعنى المتقدم هو الوحيد الذى يمكن أن يفهم من الآية فانه كثيرا ما طبق السؤال واجابته على آثار المسامير

التى فى يدى المسيح. توضح القرينة ان شرور الانبياء سوف تقاوم بشدة لدرجة أن الذين يشتبه فيهم انهم أنبياء ينفون التهمة عنهم بأى ثمن لعلمهم بأنه اذا ثبتت عليهم حل بهم الانتقام المروع عاجلا.

سوف يكون هذا فى الواقع انقاذا حاسما نهائيا للبلاد من شر العبادة الوثنية. وان كان الله مستعدا أن يتمم مثل هذا العمل العظيم الكامل من أجل شعبه القديم فيجب أن نلح عليه لكى يلاشى أصنامنا نحن أيضا و "يطهرنا لنفسه شعبا خاصا غيورا فى أعمال حسنة" تى ٢ : ١٤.

* * *

١٤

«ما لابد أن يكون عن قريب»

(زكريا ١٤)

من المستحيل ان نعتقد بأن هذه النبوة السامية العجيبة قد تمت فعلا. فأنه لا يوجد فى رواية المكابيين ولا في سقوط أورشليم على يدى تيطس ما يدل على اتمامها. ففي أى عصر اجتمعت كل الام على أورشليم للمحاربة، ع٢ ؟ ومتى انشق جبل الزيتون من وسطه ليهرب المحاصرون ع ٤و٥ ؟ وأى يوم انبثق من المشرق وتمم الوصف الوارد فى ع ٦و٧ ؟ وفى أى عصر من تاريخ اليهود جمعوا غنيمة أعدائهم فى الحرب ذهبا وفضة وملابس كثيرة جدا ع١٤ ؟ طبيعى انه من الممكن تفسير كل هذه الحوادث تفسيرا رمزيا روحيا لكن الاتجاه نحو هذه الناحية من التفسير معناه الانتقاض من قوة وقيمة النبوة فى الكتاب المقدس. فان كانت النبوات المتعلقة بمجئ ربنا فى اتضاعه قد تمت حرفيا فلماذا نفترض أن النبوات المتعلقة بمجيئه الثانى بمجد عظيم تعتبر رموزا واستعارات؟ يقينا أن اتمام النبوات السابقة يمنحنا كل الحق لانتظار اتمام النبوات التى لا تزال منتظرة اتمامها. عندما

تبنى أورشليم الجديدة فان كل خط رسمه المهندس الاعظم فى خريطتها سوف يتم كما أعلن لهذا النبى.

ونحن اذ نتبع دقائق الصور التى رسمها النبى ندرك أنه سوف يأتى وقت تجتمع فيه أمم العالم ـ ويمكن تفسيرها بمجموعة الدول الاوربية ـ على أورشليم فى الحرب، تلك المدينة التى سوف يمتلكها اليهود فى عدم ايمان. ونحن لا نشك فى أن زكريا يتنبأ عن الحوادث التى وصفها حزقيال "فى السنين الاخيرة تأتى الى الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال اسرائيل... لسلب السلب ولغنم الغنيمة" حز ٣٨و ٣٩.

سوف ينجح الغزو فى بداية الامر نجاحا تاما "فتؤخذ المدينة وتنهب البيوت وتفضح النساء" ع٢. تفتح أبواب جهنم ولا بمكن كبح جماح الجنود المفترسين. وبعد ذلك يظهر الرب لشعبه كما ظهر لذلك اليهودى الاصيل فى الطريق الى دمشق. "فيخرج الرب ويحارب تلك الامم كما فى يوم حربه يوم القتال" ع٣. يقول يوحنا مشيرا الى نفس الحدث "هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض" رؤ ١ : ٧ وقال حزقيال مصورا نفس الحدث

تصويرا واضحا رائعا "ويكون في ذلك اليوم يوم مجئ جوج على أرض اسرائيل يقول السيد الرب ان غضبى يصعد فى أنفى... واعاقبة بالوباء وبالدم وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطرا جارفا وحجارة برد عظيمة ونارا وكبريتا. فأتعظم وأتقدس واعرف فى عيون أمم كثيرة" حز ٣٨ : ١٨ ـ ٢٣.

ولا مجال للشك قطعا فى انه فى ذلك الوقت سيظهر عيانا ذلك المخلص الذى رفضوه. سوف تقف قدماه فى تلك الامكنة التى وقفتا فيه اذ كان هنا بالجسد "وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الذى قدام أورشليم من الشرق. ويأتى الرب الهى وجميع القديسين معك" ع ٤و٥. وبتعبير آخر سوف يتم حرفيا وبكيفية مجيدة ذلك التأكيد الذى أكده الرجلان اللذان وقفا بجانب الرسل على جبل الزيتون وكانا لابسين لباسا أبيض اع ١ : ١٠و١١.

"أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء. أن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم الى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا الى السماء" اع ١ : ١١. "ويقال فى ذلك اليوم هوذا هذا الهنا انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه. لان يد

الرب تستقر على هذا الجبل ويداس موآب فى مكانه كما يداس التبن فى ماء المزبلة" اش ٢٥ : ٩و ١٠.

لما كان أخوة يوسف فى أشد حالات الضيق عرفهم بنفسه. وعندما يصبح اليهود فى أشد حالات الضيق يصرخون لطلب المعونة والخلاص من ذاك الذى رفضوه. وذلك المنظر الرائع الذى مثل فى أرض الاهرامات سوف يعاد تمثيله بكل أشجانه عندما يقول ذلك الاخ الذى طال رفضه لاخوته حسب الجسد: أنا يسوع اخوكم الذى بعتموه الى بيلاطس. والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لانكم سلمتمونى للصلب. لانه لاستبقاء بقية فى الارض أرسلنى الله قدامكم ولاصنع لكم خلاصا عظيما. تك ٤٥ : ١ ـ ١٥.

عندما تتم هذه المصالحة النهائية، عندما تمحى ذكريات الماضى الأليم لدى التحيات المتبادلة والعناق المتبادل، عندما يتحقق الشعب المختار من شخصية مخلصهم العظيم ـ فانه يتعهد بخلاصهم. وربما يتحققون من شخصيته فى عملية الانقاذ. وينشق الجبل ليفسح الطريق للنجاة كما أنشق البحر قديما ع ٤و٥. وفى ذلك اليوم الخالد "يوم معروف للرب. لا نهار، ولا ليل" عندما يختلط البرد والصقيع بويلات

الزلزلة ع٥ ـ ٧ ، عندما تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم، عندما تقترن الأزمة بالتقلصات الجوية الكونية التى تعطى علامة على اشتداد الضيق كمخاض الولادة بمناسبة ولادة عصر جديد ـ فان الله يفنى النقاب الذى على وجه كل الشعوب والغطاء المغطى به على كل الامم. ويبلع الموت الى الابد، ويمسح الرب الدموع عن كل الوجوه، ويزيل عار شعبه عن كل الارض لأن الرب قد تكلم. اش ٢٥ : ٧و٨. بالروعة كلمات النبى "يحدث أنه فى وقت المساء يكون نور" ع٧. كانت أيام اسرائيل فى تاريخهم الماضى طويلة وعاصفة. كانت السحب القاتمة جاثمة فوق سماء حياتهم كأمة تقذف من جبل الى جبل رعودا وأمطارا وطوفانا. لكن هناك فعلا شعاعة صغيرة من النور، وهذه سوف تزداد يوما فيوما حتى تزيل الظلمة الجاثمة. سوف تشرق الشمس فتغطى كل الارض بالدفء والنور "وفى وقت المساء يكون نور".

لا نستطيع الجزم ان كنا سنعيش حتى نرى ذلك المساء. لكننا نرى فى هذه السنوات الاخيرة علامات كثيرة تدل على أننا نقترب من تلك اللحظات فى تاريخ الجنس البشرى التى يصح تسميتها محور الأزمنة.

فان اليأس الخانق الجاثم على بعض النفوس النبيلة، والتمادى فى الملذات، وانحدار الامبراطورية من ذهب حكم الفرد الى حديد وخزف حكم الشعوب، وتحطيم قيود الأسرة المعيب وانحلال الربط العائلية، والكراهية المرة للشعب اليهودى الظاهرة فى كراهية الجنس السامى التى أجتاحت معظم الشعوب الاوربية، والنهضة القائمة بين اليهود أنفسهم المعروفة بالصهيونية التى يحاولون بها احتلال أرض أبائهم ـ كل هذه تعلن قرب اتمام هذه الكلمات. ويبدو عندما ندرس اليهود التاريخ المقارن اننا على الارجح جدا نترقب المناظر الأولى للرواية التى تنتهى بمصالحة اليهود مع مسيحهم.

وتدل احصائيات أكبر علماء النبوات أيضا على أننا نقترب من الوقت الذى فيه تنتهى أزمنة الأمم، والذى فيه يعود الشعب المختار لامتيازه السابق الذى كان يقف فيه كممثل الله أمام العالم "فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصا وأخرجت أورقها تعلمون ان الصيف قريب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا انه قريب على الابواب.... اسهروا اذا لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم" مت ٢٤ : ٣٢ ـ ٤٢.

واضح أن أرض اليهود مقدر لها ان تجوز تغييرات جوهرية تبدأ من وقت تدخل الرب من أجلهم. فخروج المياه الحية شرقا وغربا ع٨ وانخفاض المملكة المحيطة بها الى مستوى العربة من جبع شاول في الشمال الى رمون فى الجنوب، وارتفاع أورشليم كأنها قد ارتفعت الى مستوى هضبة من الهضاب ع١٠، وزوال اللعنة ع١١ ـ هذ يصح بطبيعة الحال تطبيقها رمزيا، لكن لعل تأثير بركانيا (وهو الذى أشير اليه فى الآية الخامسة) سيحدث تغييرات جوهرية فى وجه الارض الحالية.

وقد أكد الكتاب جدا بأن اليهود سيتم لهم النصر الكامل فى ذلك النضال الأخير. فمن رؤية حزقيال عن نفس الحادث نتعلم أن سكان مدن اسرائيل يحرقوق أسلحة اعدائهم فلا يحتاجون الى حطب من الوعور للوقود، وأنه سيفرز بعض الاشخاص لعملية دفن الموتى الكثيرين حز ٣٩ : ٨ ـ ١٦ . وقيل هنا أيضا انه عندما تحارب يهوذا "فى أورشليم" (١) زك ١٤ : ١٤ فان الرب سيضرب جنود العدو بوبأ شديد

(١) فى الترجمات العادية قيل "تحارب أورشليم" لكنها في هامش الكتاب وفي بعض الترجمات المنقحة وفى الترجمات السبعينية وردت هكذا "تحارب فى أورشليم".

نون بسببه، وأنه ستكون هنالك غنائم كثيرة، ذهب وفضة وملابس ثيرة جداً.

وهذا بلا شك هو المنظر الذى وصفه الرسول الحبيب بعبارته الرائعة لاغته القوية:

"ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا صادقا بالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو. وهو متسربل بثوب غموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله. والاجناد الذين فى السماء كانوا تبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض ونقيا. ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الامم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب.

"ورأيت ملاكا واحدا واقفا فى الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلا لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء. هلم اجتمعى الى عشاء الاله العظيم. لكى تأكلى لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل

والجـــالسين علـــيها ولحـــوم الكـــل حـــرا وعـــبدا صغيرا وكبيرا" رؤ ١٩ : ١١ ـ ١٨.

وهكذا سيخلص جميع اسرائيل. "فيزول حسد افرايم. افرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لا يضايق افرايم" اش ١١ : ١٣. "وجبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال وتجرى اليه كل الأمم" اش ٢ : ٢. وتقوم المدينة المقدسة وتستنير لأن نـــورها قد جاء ومجد الرب أشرق عليها اش ٦٠ : ١و٢ وتتم بكيفية مجيدة كل كلمات أشعياء الرائعة الواردة فى الاصحاح الستين.

هوذا قد نادى الرب الى أقصاء الارض على يد أنبياء كثيرين سيما على يد عبـــده زكـــريا "قـــولوا لابنة صهيون هوذا مخلصك آت" اش ٦٢ : ١١.

١٥

العصر الالفى وهذا العصر

(زكريا ١٤ : ٦)

كان عيد المظال من أبهج أعياد اليهود وأكثرها ازدهارا وفرحا. لقد كان يذكر برحلات بنى اسرائيل فى البرية عندما كانوا يسكنون فى مظال. "فى مظال تسكنون سبعة أيام" هذا هو الامر الذى صدر اليهم. "كل الوطنيين فى اسرائيل يسكنون فى المظال. لكى تعلم أجيالكم أنى فى مظال أسكنت بنى اسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر" (لا ٢٣ : ٣٩ _ ٤٣).

وكان يحتفل به بعد جمع الحصاد "أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه عندما تجمعون غلة الارض تعيدون عيدا للرب سبعه أيام. فى اليوم الاول عطلة. وفى اليوم الثامن عطلة". لكن عطلة اليوم الاول كانت تصرف فى جمع سعف النخل وأغصان أشجار غبياء وصفصاف الوادى. ويالها من مناسبة سعيدة. لقد انتهت متاعب السنة، وجمع القمح فى المخازن. وادخلت الخمر والزيت فى سلام، وتستريح

الحقول الآن فى الشمس الساطعة لتسترد قوتها بعد عنائها الكثير. وكان الشعب يأتون من كل أطراف الارض الى مدينة آبائهم حيث كانت قصورها القديمة تزينها الخضرة، وسقف كل منزل تعلوه المظال، وكل ساحة تزدحم بالمظال "فخرج الشعب وجلبوا وعملوا لانفسهم مظال كل واحد على سطحه وفى دورهم ودور بيت الله وفى ساحة باب الماء وفى ساحة باب افرايم" نح ٨ : ١٦ .

رأى النبى زكريا بعينه الثاقبة انه سوف تتكرر المناظر المدونة فى سفرى عزرا ونحميا (عز ٣ : ٤ ، نح ٨ : ١٦) مع هذا الفارق وهو انه فى تلك الايام السعيدة التى رآها مقدما سوف لا يجتمع اليهود فقط معترفين بملكهم وربهم بل يجتمع أيضا ممثلون لامم العالم آتين من كل أرض ومتكلمين بكل لسان "ويكون ان كل الباقى من جميع الامم الذين جاءوا على أورشليم يصعدون من سنة الى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود وليعيدوا عيد المظال". ليس هنالك مبرر للاعتقاد بأن نفس أعياد العهد القديم سوف تتكرر لكن القصد هو أن البهجة والاغتباط والراحة والثوب القشيب الذى كانت تلبسه المدينة فى ذلك

الوقت من السنة فى القديم سوف تميز الحياة الدينية فى العالم الذى تصبح قبلة انظاره تلك المدينة المحبوبة.

كان المنظر البهيج الذى يراه دائما انبياء العبرانيين فى ختام كل رؤية هو اعادة تعمير أورشليم كعاصمة العالم الدينية. هكذا كانت المدينة يوم دفعت ملكة سبا كل الحكماء فى بلاد كثيرة للاصغاء الى حكمة سليمان. هكذا كانت يوم الخمسين عندما غصت شوارعها بأناس من كل ارجاء العالم يتكلمون بكل لغات العالم. كانت هكذا روحيا ولا تزال لان كل الاعين تشخص اليها على أساس أن المسيحية ولدت فيها وترعرعت فيها، وعلى أساس انها ترمز الى أورشليم العليا وانها أمنا جميعا. لكن هذه الآراء لا تحقق النبوات الغنية التى تنبأ بها رجال الله القديسون الذين تكلموا مسوقين من الروح القدس. ان كثرة الجمال سوف تحمل اليها بنى الشرق كما تحمل سفن ترشيش بنى الغرب اش ٦٠ : ٩ . سوف يتدفق الى المدينة من أبوابها المفتوحة أفواج من العائدين حاملين ثروة الأمم. وعوضا عن كونها مهجورة ومبغضة لا يعبر فيها انسان تصبح فخرا أبديا فرح دور فدور اش ٦٠ : ١٥ .

وحتى فى تلك الأيام السعيدة عندما يبدأ البر أن يغطى الأرض كما تغطى المياه البحر، عندما تكتسح موجات الخلاص كل الامم، سوف يقف البعض موقف المعارضة. ان الفكرة الصحيحة عن العصر الألفى لا تعنى ان كل نفس تتجدد. بل ان غالبية المؤثرات فى العالم سوف ترحب بكل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مسر، كل ما صيته حسن. وكما أن العالم ملئ الآن بالأرواح الشريرة التى تحكم ظلمته، فانه سيمتلئ حينئذ بالمسيح وقد يشبه الذين سوف يحكمون المدن والقارات بالبر والطهارة والسلام. وحتى فى هذه الأوقات السعيدة سيتمرد القلب البشرى ويرفض البعض الخضوع لأله اسرائيل، "ويكون ان كل من لا يصعد من قبائل الأرض الى أورشليم ليسجد للملك رب الجنود لا يكون عليهم مطر. وان لا تصعد ولا تأت قبيلة مصر.... تكن عليها الضربة" ع١٧و١٨ .

وواضح كل الوضوح هنا أن القصاص سيكون مناسبا لحالة كل بلد. فأرض مصر أن امتنع عنها المطر لا يعد هذا قصاصا لانها فى زراعتها تعتمد على نهرها العظيم. لكنها مع ذلك لا يمكن ان تنجو من القصاص، ولذلك فان قصاصها سيكون الضربة (أو الوبأ) . ان الله

لا يترك خطية دون أن يعاقب عليها. لكنه يعرف أن يضع يده فى الموضع الحساس. هنالك يمسنا ومن هنالك ندفع سريعا الى التوبة. عندئذ نصرخ: ليته كان موضعا آخر غير هذا فكنت أحتمله، لكنه ابنى العزيز بنيامين، زوجتى المحبوبة راحيل، حدقة عينى، الموضع الحساس الوحيد الذى أتالم منه أشد الألم.

فى تلك الفترة الحرجة ينبثق بصيص من النور على العصر القادم الذى سوف يتميز بكل جمال القداسة. كلنا نعرف أن رئيس الكهنة كان يلبس على جبهته صفيحة من ذهب نقشت عليها هاتان الكلمتان المقدستان **«قدس للرب»**. كانت موضوعة دائما على عمامته ومثبتة فيها بخيط اسمانجونى للرضا عن بنى اسرائيل أمام الرب (خر ٢٨ : ٣٦ ـ ٣٨). وهنا يرى النبى نفس النقش على أجراس الخيل وعلى الآنية التى تستعمل فى البيوت كل يوم "فى ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل **قدس للرب** والقدور فى بيت الرب تكون كالمناضح أمام المذبح وكل قدور فى أورشليم وفى يهوذا تكون قدسا لرب الجنود" ع ٢٠ و ٢١.

تتضمن القداسة ثلاثة أمور: الابتعاد عن الخطية وعن كل ما لا يليق، التكريس لخدمة الله، النمو فى التمثل به، الامر الذى يحصل كنتيجة حتمية لقبوله فى القلب. ذلك لأن القداسة ليست وراثية قط ولا هى صفة شخصية. لكننا نحصل عليها بنسبة امتلاك الله لنا وامتلائنا منه. وكلما ازددنا تمسكا بالله ازددنا قداسة. ومن أبرز الفوارق بين اليهودية والمسيحية أن الأولى تتميز بالتمسك بطقوس الناموس القديم أما الثانية فانها تتدخل فى كل نواحي حياتنا حتى الأعمال المنزلية اليومية.

(١) هنا نرى أولا زوال الفوارق بين المقدس والدنيوى. يشبه البعض بالسفن المبنية باحكام بحيث لا تنفذ اليها المياه، فان ديانتهم لا تتدخل فى أعمالهم العادية ولا تنفذ الى كيانهم. فمثلا أنهم يذهبون الى الكنيسة يوم الأحد لكنهم يفزعون اذا ذكرت لهم اسم الله فى البيت او فى مكان العمل. بل قد يوبخونك قائلين لكل شئ مكان معين ووقت معين لكن ليس هذا مجاله ولا وقته. أمثال هؤلاء يحسبون أن "قدسا للرب" يتناسب مع رئيس الكهنة فى المقدس، لكنه لا يتناسب مع أجراس الخيل أو الاوانى المنزلية. يحسبون أن سائس الخيل فى

الاسطبل والخادمة فى أعمالها المنزلية ليس لهما الحق فى استعمال هذا الاصطلاح الوقور.

لكن يقينا ان هذا التمييز بين الأعمال المقدسة والأعمال الدنيوية، بين الطاهر والنجس ليس له مبرر فى ضوء تعاليم العهد الجديد التى تأمرنا أجمعين أن نقبل كل شئ، حتى الاكل والشرب، باسم الرب يسوع ولمجد الله (١كو ١٠ : ٣١، كو ٣ : ١٧).

وعلاوة على هذا فلنتأمل فى لب المسيحية وجوهرها:

١ ـ انها تخلع علينا **حياة جديدة**، فنحن مسيحيون لا لأننا ندين بعقيدة معينة أو نمارس طقوسا معينة بل لاننا نلنا الحياة، الحياة الأبدية، التى كانت عند الاب وأظهرت لنا فى يسوع ١يو ١ : ٢. وهل يمكن حصر اعلانات الحياة؟ أيمكن للزهرة أن تنسج أوراقها وتبعث رائحتها العطرية حسبما يحلو لها؟ هل يمكن للأشياء الصغيرة فى الغابات والمراعى أن تكون على هذا الوضع اليوم وعلى وضع آخر غدا؟ أيستطيع الطفل الصغير أن يرقب الأيام بالضحك ثم بالدموع؟ أليست حياة الله هى هى أبدا دون تغيير أو تبديل؟ هكذا ينبغى أن تكون حياة الله فى

النفس، يجب أن تظهر ذاتها فى كل مخارج كياننا، فى الكلام، فى العمل، فى الحركة. يجب أن تكون هى هى فى سائر أيام الاسبوع كما فى يوم الاحد. يجب أن تكون هى هى فى المطبخ، فى محل العمل، كما فى الكنيسة. ان كنت قد امتلأت بحياة القدوس فان هذه الحياة بلا شك تصوغ كل كيانك بل تصوغ كل حركة واشارة تصدر عنك.

٢ ـ والاكثر من هذا أن المسيحية هي تكريس للمسيح. ان كنا نعتبر المسيح دياننا، ومشرعنا، وملكنا، ونطيعه ونخدمه يحق لنا أن نتساءل ان كان يجوز لنا أن ندعو أنفسنا مسيحيين. لكن ان كنا نحصر ديانتنا فى أيام معينة، وأمكنة معينة، وتصرفات معينة، فاننا بهذا نخرجه من كل ما لا تحتويه الدائرة التى نسيج حولها بسياج نقيمه بأيدينا. ان كانت المسيحية تحدد بالايام فاننا نستبعد عن حكم المسيح وسلامه ستة أسباع أوقاتنا. هل ينتظر السيد عبده الذى اشتراه بماله محدودية كهذه؟ هل يعتبر انه قد عوض عن ماله الذى دفعه ان أصبحت ملكيته محدوده بهذا الشكل؟ وهل يرتضى سيدنا المسيح ان كنا نطلب

منه أن يقبل منا يوما واحدا فى الاسبوع عوضا عن الوقت كله الذى هو ملك له؟.

٣ ـ ومطالب العالم **تتطلب حياة دينية كاملة غير منقوصة**. ان العالم لا ينظر الينا فى ممارساتنا الدينية، سواء فى مخادعنا أو عبادتنا الجمهورية. اذا فهو ليست لديه فكرة عن آلامنا النفسية وقت التوبة أو عن رغبتنا فى الحصول على حياة البر والطهر، أو عن مثابراتنا فى مساعينا. وان لم نقدم البرهان على ديانتنا فى تصرفاتنا بالامور التى يفهمها أهل العالم فانهم بطبيعة الحال يعتبرون أن الديانة حلم غير عملى، وليد الخرافات والعواطف. نحن فى حاجة الى ان نشهد للعالم حيث تلتقى طرقه بطرقنا، وفى النواحى التى يستطيع أن يقدرها، أن وجد أهل العالم أننا أكثر صبرا واحتمالا ونزاهة وأمانة من باقى البشر. ان أدركوا ان نزاهتنا تعزى لعوامل أبعد من مقدرتنا الشخصية، فانهم عندئذ يعترفون بأننا قد اتصلنا بمصادر الحياة والقوة الحقيقية الواقعية التى لا يعرفون عنها شيئا.

من أجل هذه الاسباب يجب أن لا نضع حدودا فاصلة بين الأشياء المقدسة والاشياء العالمية الدنيوية. هنالك فى العالم أشياء مستقيمة وأشياء خاطئة. وطبيعى أن الخاطئة يجب أن تبعد عن دائرة حياتنا، أما المستقيمة فانها كلها مقدسة. كل ما يصح عمله يمكن أن يعمل للمسيح، واذ يعمل له يصبح مقدسا. فسائس الخيل بخيله، والخادمة بادواتها المنزلية، والكاتب بقلمه، والميكانيكى بأدواته، والفنان بألة تصيويره ـ هؤلاء يجب أن يتحققوا من أن هاتين الكلمتين الرمزيتين قد نقشتا على آلات عملهم. على كل واحد منا أن يدرك وهو يدخل مكان عمله انه يخدم الله هناك كانه داخل الى الكنيسة ليخدم مذبحه. ويمكن التطلع الى الاوانى والقدور كأنها هى الاوانى التى تتلقى دماء الذبائح عند ذبحها.

(٢) وهنا يمكن أن ندرج أيضا أشياء كثيرة ـ كنا نعتبرها دنيوية ـ ان كنا نكرسها للمسيح. كان محظورا على اليهود أن يقتنوا خيلا. واذ يقرر المؤرخ المقدس بحزن عميق أن سليمان جلب خيلا من مصر يذكر هذا كعلامة على سقطته ١مل ١٠ : ٢٨، ٢ اى ١ : ١٦ و ١٧ كانت الخيل تنم عن كبرياء الملوك وفخفختهم. وتعبر عن ذراع

اللحم ولذلك كان استعمالها محظورا. قال المرنم "هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل. أما نحن فاسم الرب الهنا نذكر، مز ٢٠ : ٧. أما هنا فقد صرح بها. لقد ادرجت ضمن ما سبق أن رآه النبى عن المستقبل السعيد. لكن لاحظ بأن الكلمتين "قدس للرب" قد نقشتا الآن على اجراس الخيل التى تبعث موسيقى جميلة وهى تتحرك.

يا له من درس من أعمق الدروس التى نجدها هنا.

كان لليهودية بأيامها الخاصة، وأماكنها الخاصة، ورجالها المعينين، كان لها نصيبها فى تعليم الجنس البشرى من الناحية الدينية. كانت هى روضة الاطفال للاطفال البشريين. لكن عندما تصبح رجالا نبطل ما هو للطفل. الارجح أن كل حياة فى أطوارها الاولى يجب أن يسيج حولها لكى يبعد عنها بعض الاشياء التى وان كانت بريئة فى حد ذاتها الا انها تعوق تقدمها ونموها. لقد كان مستحيلا أن يعلم الله البشر معنى القداسة الا بهذه السلسلة من المحظورات والانعزال. لكن عندما فهم الدرس تماما بطل الناموس الطقسى وجاء يسوع قائلا "سمعتم انه قيل للقدماء.. وأما أنا فاقول لكم". فالخيل التى كانت محظورة

أصبحت شائعة ومألوفة كأوانى المذبح أو الأوانى المنزلية، واصبحت تحمل هاتين الكلمتين اللتين كانتا تلمعان قديما على حياة هرون وبنيه.

فى العصور الوسطى كان القديسون يحجمون عن الزواج وولادة البنين معتقدين بأن محبة الزوجات وأصوات الأطفال فى البيت تتعارض مع غايتهم العليا. لكنهم مع الأسف أساءوا فهم تعاليم المسيح، ونسوا أن المسيح جلس فى عرس قانا الجليل، وجهلوا أنه لا يوجد شئ دنس فى خليقة الله الأصلية. أنه أمر جليل أن نتبع ايحاءات الطبيعة والقلب بشرط أن تكون المحبة البشرية محبة طاهرة مقدسة، وبشرط أن تنقش هذه العبارة "قدس للرب" على أوثق روابط الحياة.

كذلك الحال فى أمر الرياضة البدنية. لا خطيئة فى أن تحنى ذراعك فى الالعاب الرياضية التى تقوى العضلات وتفتح الرئتين، والتى تقوى ربط المحبة بينك وبين زملائك، طالما كنت تستطيع أن تكتب على كل آلة من آلات الألعاب الرياضية هاتين الكلمتين اللتين كانتا تنقشان على جبهة رئيس الكهنة "قدس للرب". لا تمس

شيئا لا تستطيع ان تصلى من أجله. كل ما تستطيع أن تصلى من أجله وتقدسه فهو شرعى. كل شئ جيد ولا يرفض اذا أخذ مع الشكر لانه يقدس بكلمة الله والصلاة ١تى ٤ : ٤و٥.

وتنطبق نفس القاعدة على الاستمتاع بالطبيعة والموسيقى والفنون الجميلة وكل شئ جميل، فى التحف أو النقش. فى التصوير الفوتوغرافى أو الرسم. ان القداسة الحقيقية لا تقدم فى مجرد الجدران أو المقاعد أو الوسط المحيط بنا، بل فى كل ما يماثل عمل الله فى الطبيعة الجميلة جمالا منقطع النظير سواء فى الوان الزهور الجميلة أو الصخور البديعة أو الغابات أو فى وجه الكواكب الفضى.

استعمل الخيل كما يحلو لك بشرط أن تحرص على أن تتذكر فى كل لحظة على أن تكون "قدسا للرب".

لنلاحظ بأننا يجب أن نرفع كل نواحى حياتنا الى مستوى ساعاتنا المقدسة الدينية. طبيعى انه من الممكن ازالة الفوارق بين المقدس والدنيوى وذلك بأن نعتبر الكل دنيويا، لكن هذا معناه تدنيس حياتنا. ليس المطلوب خفض المستوى بل رفعه. فبيت الرب يجب أن يؤسس فى

"رأس الجبال وتجرى اليه كل الامم" اش ٢ : ٢ .وليس المطلوب أن يلبس الكاهن صفيحته الذهبية المكتوب عليها "قدس للرب" عندما يدخل الى المقدس فقط بل ان يلبسها عندما يدخل أيضا الى الاسطبل ليركب حصانه.

اننا لا نستطيع جعل كل أوقاتنا مقدسة الا اذا افرزنا لله ساعات معينة وأياما معينة. ولا نستطيع حمل روح الديانة الطاهرة غير الملوثة بين اخواتنا الا اذا تعلمنا كيف ندخل مخادعنا بصفة مستمرة، ونغلق أبوابنا ونصلى الى أبينا الذى فى الخفاء. ولا نستطيع تأدية كل مهمة لمجد الله الا اذا كان لنا جبل التجلى الذى نقضى فيه الاوقات الطويلة فى الصلاة. ولا نستطيع قراءة كل الكتب والصحف بروح دينية الا اذا عرفنا كيف ندرس الكتاب المقدس دراسة منتظمة. ولا نستطيع استعمال الاوانى العادية كأنها قدس للرب الا اذا عرفنا كيف ننسكب على مذبح الله. لذلك فلا تتركوا اجتماعكم كما لقوم عادة (عب ١٠ : ٢٥). واذكروا يوم السبت (الاحد) لتقدسوه.

هنالك اجراس كثيرة تدق فى حياتنا، جرس الاستيقاظ فى الصباح، جرس المدرسة، جرس الورشة للعمال، جرس باب البيت، اجراس العرس بأصواتها الشجيبة، واجراس الجنازات باصواتها الحزينة. جرس الدراجة أو العبارة لتنبيه المارة، لقد اصفينا الى الكثير من هذه الاجراس فى الماضى بعدم الاكتراث. لكن دعك من هذا. فلنستمع فى أصواتها من الآن فصاعدا لرنين دعوة الله الى المهمة التى يدعونا اليها. فلنطع كل دعوة بكل نشاط، طالبين منه النعمة والقوة لتتميم كل ما يريدنا أن نعمله، ومتحققين من أنه قد نقشت على كل مهمة هاتان الكلمتان اللتان سبق أن وضعنا على جبهة هارون:

"قدس للرب"

* * *

طبعة أولى	امشير سنة ١٦٧١ش	مارس سنة ١٩٥٥م
طبعة ثانيه	هاتور ١٦٩٧	ديسمبر ١٩٨٠.

فهرس

لنفس المعرب

حياة يوسف ـ ماير

" "ايليا ـ "

" "ابراهيم ـ "

" "ارميا ـ "

" "يشوع ـ "

" "بطرس ـ "

" بولس ـ"

"زكريا ـ " (نبى الرجاء)

حياة داود — تأليف ف. ب . ماير

" "اسرائيل — " " "

" "يوحنا المعمدان — " " "

حياة صموئيل   تأليف ف. ب . ماير

استفانوس   . . .

الدسقولية أو تعاليم الرسل   . . .

تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولى   . . .

رسالة الى الوثنين للقديس اثناسيوس الرسولى   . . .

كيف تدرس الكتاب المقدس   . . .

تفسير قداس الكنيسة القبطية الارثوذكسية.   . . .

شهادة علم الآثار للكتاب المقدس

المسيح فى أشعياء   . . .

سر الحياة الداخلية   . . .

رسالة فيلبى   . . .

تفسير انجيل متى، وانجيل مرقس، وانجيل لوقا، وانجيل يوحنا.

تفسير الانبياء الصغار

خيمة الاجتماع

الكهنوت

الذبائح

الاسرار المسيحية	للقديس كيرلس الاورشليمى
رسائل عن الروح القدس	للقديس اثناسيوس الرسولى
الرسائل الفصيحة	للقديس اثناسيوس الرسولى
رسائل أخرى	للقديس اثناسيوس الرسولى
تاريخ الكنيسة	ليوسابيوس القيصرى
حياة قسطنطين	ليوسابيوس القيصرى

اسرار الكنيسة القبطية الارثوذكسية باللغة الانكليزية

القراءات اليومية فى الاسفار الالهية

تأملات هادئة فى سفر التكوين	(اربعة أجزاء)
" " " " استير	" "
" " " " المزامير	" "

مكتبة المحبة

٣٠ شارع شبرا - القاهرة

ت: ٥٧٨٢٩٣٢-٥٧٥٩٢٤٤ فاكس: ٧٧٧٤٤٨